من كليات رسائل النور

مرشد أخوات الآخرة والإيمان

بديع الزمان
سعيد النورسي

ترجمة
إحسان قاسم الصالحي


منتدى إقرأ الثقافي
للكتب (كوردى - عربي - فارسي)
www.iqra.ahlamontada.com

مرشد

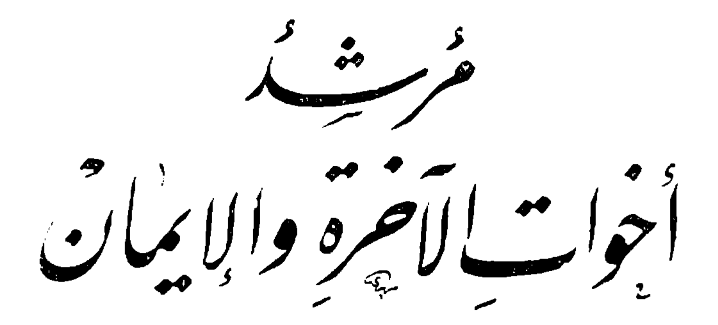
اخوات الآخرة والايمان

● الطبعة الاولى

● ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م ٠

● مطبعة الحوادث ـ بغداد ـ ٤١٥٢٦٨٥

من كليات رسائل النور



بديعُ الزمانْ
سعيد النورسي

ترجمة
إحسان قاسم الصالحي



حوار مع اخواتي في الآخرة

باسمه سبحانه

لقد كنت اشاهد في عدد من الولايات اهتمام النساء برسائل النور اهتماما حارا خالصا • وحينما جئت مرة ثالثة الى مدرسة الزهراء المعنوية ، هذه المدينة المباركة « اسپارطة » سمعت ان اولئك النساء الطيبات المباركات ، اخواتي في الآخرة ، ينتظرن مني ان القى عليهن درسا ، على غرار ما يلقى في المساجد من دروس الوعظ والارشاد• اذ علمت اعتمادهن على دروسي التي تخص النور بمايفوق حدي بكثير • بيد أني اعاني امراضا عدة ، مع ضعف وانهاك شديدين حتى لا استطيع الكلام ولا التفكر • ومع ذلك فقد سنحت بقلبي هذه الليلة خاطرة قوية ، هي :

انك قد كتبت قبل خمس عشرة سنة رسالة (مرشد الشباب) بطلب من الشباب انفسهم ، وقد استفاد منها الكثيرون ، بينما النساء هن احوج الى مثل هذا « المرشد » في هذا الزمان •

فازاء هذه الخاطرة وعلى الرغم مما اعانيه من عجز وضعف كتبت في غاية الاختصار لأخواتي المباركات ولبناتي الشابات بعض مـــا يلزمهن من مسائل ، ضمن نـكات ثلاث •

النكتة الاولى :

لما كان اهم أساس من اسس رسائل النور هو « الشفقة » وان النساء هن رائدات الشفقة وبطلات الحنان ، فقـــد أصبحن اكثر ارتباطا برسائل النور فطرة • فهذه العلاقة الفطرية تحس بهـــا في كثير من الاماكن ولله الحمد والمنة •

ولقد غدت التضحية التي تنطوي عليها الشفقة والحنان ذات اهمية عظمى في زماننا هذا ، اذ انها تعبر عن اخلاص حقيقي وفـــداء دون عوض ومقــابل •

نعم ! أن فداء الام بروحها انقاذا لولدها من الهلاك من دون انتظار لأجر ، وتضحيتها بنفسها باخلاص حقيــقي لأولادها باعتبــار وظيفتها الفطرية ، تدلان على وجود بطولة سامية رفيعة في النساء ، بحيث يستطعن أن ينقذن حياتهن الدنيوية والاخروية بانكشاف هذه البطولة وانجلائها في انفسهن ، الا ان تيارات فاسدة تحول دون ظهور تلك السجية القيمة القويمة وتمنع انكشافها ، أو تصــرف ـ تلك التيارات ـ هذه السجية الطيبة الى غير محالها فتسيء استعمالها •

نورد هنا مثالا واحدا من مئات أمثلتها :

● ان الوالدة الحنونة تضع نصب عينها كل فداء وتضحية لتمنع عن ولدها المصائب والهلاك لتجعله يستفيد ويفيد في الدنيا ، فتربي ولدها على هذا الاساس ، فتنفق جميع اموالها ليكون ابنها عظيما وسيدا آمرا ، فتراها تأخذ ولدها من المدارس العلمية الدينية وترسله الى اوروبا ، من دون ان تفكر في حياة ولدها الابدية التي تصبح مهددة بالخطر ٠

فهي اذ تسعى لتنقذه من سجن دنيوى ، لا تهتم بوقوعه في سجن جهنم الابدى ، فتتصرف تصرفا مخالفا لفطرتها مخالفة كلية ، اذ بدلا من ان تجعل ولدها البرىء شفيعا لها يوم القيامة تجعله مدعيا عليها ، اذ سيشكو ذلك الولد هناك قائلا لها :

« لم لم تقوى ايماني حتى سببت في هلاكي هذا ؟ ! » ٠

وحيث انه لم يأخذ قسطا وافرا من التربية الاسلامية ، فلا يبالي بشفقة والدته الخارقة ، بل قد يقصر في حقها كثيرا ٠

ولكن اذا ما سعت تلك الوالدة الى انقاذ ولدها الضعيف من السجن الابدي الذي هو جهنم ، ومن الاعدام الابدي الذي هو الموت في الضلالة ، بشفقتها الموهوبة دون الاساءة في استعمالها ، فان ولدها سيوصل الانوار دوما الى روحها بعد وفاتها ، اذ يسجل في صحيفة اعمالها مثل جميع الحسنات التي يعملها الولد ٠ كما سيكون لها

ولدا طيبا مباركا ينعمان معا حياة خالدة ، شفيعا لها عند الله مـــا وسعها ، لا شاكيا منها ولا مدعيا عليها ۰

نعم ! ان اول استاذ الانسان وأكثر من يؤثر فيه ، انما هــو والـــدته ۰

سأبين بهذه المناسبة هذا المعنى الذي اتحسسه دائما احساسا قاطعا في شخصي ، وهو :

اقسم بالله ان ارسخ درس اخذته ، وكأنه يتجدد علي ، انمـا هو تلقينات والدتي ـ رحمها الله ـ ودروسها المعنوية ، حتى استقرت في اعماق فطرتي واصبحت كالبذور في جسدي في غضون عمري الذي يناهز الثمانين رغم اني قد اخذت دروسا من ثمانين الف شخص ۰ بل ارى يقينا ان سائر الدروس انما تبنى على تلك البذور ۰

بمعنى انى اشاهد درس والدتي ـ رحمها الله ـ وتلقيناتهـــا لفطرتى وروحي وانا في السنة الاولى من عمري ، بذور اساس ضمن الحقائق العظيمة التى اراها الآن وانا في الثمانين من عمري ۰

● مثـــال ذلك :

ان « الشفقة » التي هي اهم اساس من الاسس الاربعـــة في مسلكي ومشربي في الحياة ۰۰ وان « الرأفة والرحمة » التي هـــي حقيقة عظمى ايضا من حقائق رسائل النور ، أشاهدهما يقينا بانهما نابعتان من افعال تلك الوالدة الرؤوف ومن احوالها الشفيقة ومن دروسها المعنـــوية ۰

نعم ! ان الشفقة والحنان الكامنين في الامومة والتي تحملهـا باخلاص حقيقي وتضحية وفداء قـد أسيء استعمالهـا في الوقت الحاضر ، اذ لا تفكر الأم بما سينال ولدها في الآخرة من كنوز هـي اثمن من الالماس ، بل تصرف وجهه الى هذه الدنيا التى لا تعدل قطعا زجاجية فانية ، ثم تشفق على ولدها وتحنو عليه في هذا الجانب من الحياة ٠ وما هذا الا اساءة في استعمال تلك الشفقة ٠

ان مما تثبت بطولة النساء في تضحيتهن العظيمة دون انتظـار لأجر ولا عوض ، من دون فائدة يجنينها لأنفسهن ومن دون ريـاء واظهـار لأنفسهن ، وهن على أتم استعداد للفداء بأرواحهن لأجـل الولد ، اقول ان مما يثبت ذلك هو مانراه في الدجاجة التي تحمـل مثالا مصغرا من تلك الشفقة ، شفقة الامومة وحنانهـا ، فهـي تهاجم الاسد ، وتفدي بروحها ، حفاظا على فراخها الصغار ٠

وفي الوقت الحاضر ، ان آلزم شيء وأهم اساس في التربيـة الاسلامية واعمال الآخرة ، انما هو « الاخلاص » فمثل هذه البطولـة الفائقة في الشفقة تضم بين جوانحها الاخلاص الحقيقي ٠

فاذا ما بدت هاتان النقطتان في تلك الطائفة المباركة ، طائفـة النساء ، فانهما سيكونان مدار سعادة عظمى في المحيط الاسلامي ٠

أما تضحية الآباء فلا تكون دون عوض قطعا ، وانما تطلب الاجر والمقابل من جهات كثيرة تبلغ المئـة ، وفي الاقل تطلب الفخر والسمعة ٠ ولـكن مع الاسف فان النساء المباركات يدخلن الريـاء

والتملق بطراز آخر وبطريق آخر نتيجة ضعفهن وعجزهن ، وذلك خلاصا من شر أزواجهن الظلمة وتسلطهم عليهن ٠

النكتة الثانية :

لما كنت في هــــذه السنة معتزلا الناس بعيـــدا عن الحياة الاجتماعية ، نظرت الى الدنيا نزولا لرغبة اخـــوة واخوات مـــن النوريين ، فسمعت من اغلب من قابلني من الاصدقاء ، شـــكاوى حياتهم الاسرية ٠ فتأسفت من الاعماق وقلت : « أو دب الفساد في هذه الحياة ايضا ؟ ان الحياة الاسرية هي قلعة الانسان الحصينـة ، ولاسيما المسلم ، فهي كجنته المصغرة ودنياه الصغيرة » ٠

فتشت عن السبب الذي ادى الى فسادها ٠ وعلمت أن هنـاك منظمات سرية تسعى لاضلال الشباب وافسادهم وتذليل ســـبل الشهوات امامهم وسوقهم الى السفاهة والغواية لافساد المجتمـــع الاسلامي والاضرار بالدين الاسلامي ، كما احسست أن منظمـــات ايضا تعمل في الخفاء وتسعى سعيا جادا مؤثرا لدفع الغافلات مـــن النساء اللطيفات الى طرق خاطئة آثمة ٠ وادركت أن ضـربة قاصمـة على هذه الأمة الاسلامية تأتي من تلك الجهة ٠

فأنا ابين بيـــانا قاطعا ، يا اخـواتي ويا بنـــاتي المعنـويات الشابات !

ان العلاج الناجع لانقاذ سعادة النساء من الافساد في دنيـــاهن واخراهن معا ، وان الوسيلة الوحيدة لصون سجاياهن الراقيـــة

اللاتي في فطرتهن من الفساد ، ليس الا في تربيتهن تربية دينيـــة ضمن نطاق الاسلام الشامل •

انكن تسمعن ما آلت اليه حال تلك الطائفة المباركـــة فـــي روسيا !

وقد قيل في جزء من رسائل النور :

ان الزوج الرشيد لا يبني محبته لزوجته على جمال ظـاهري فان لا يدوم عشر سنوات ، بل عليه ان يبني مودته لها على شفقتهـا التي هي أجمل محاسن النساء وأدومه ، ويوثقها بحسن سيرتهـــا الخاصة بانوثتها ، كي تدوم محبته لها كلما شابت تلك الزوجـــة الضعيفة ، اذ هي ليست صاحبته ورفيقته في حياة دنيوية مؤقتـة ، وانما هي رفيقته المحبوبة في حياة ابدية خالدة •

فكلما تقدما في العمر ازداد ما بينهما من احترام ورحمة • امـا حياة الاسرة التي تتربى في احضان المدنية الحديثة فهي معرضـــــة للانهيار والفساد ، حيث تبنى العلاقة على صحبة مؤقتة يعقبهـــــا فراق ابدي •

وكذلك قيل في جزء من رسائل النور :

ان السعيد هو ذلك الزوج الذي يقلد زوجته الصالحة ، فيكون صالحا مثلها ، لئلا يفقد رفيقته في حياة ابدية خالدة •

وكم هي سعيدة تلك الزوجة التى ترى زوجها متدينا فتتمسك بآهداب الدين لئلا تفقد رفيقها الابدي ، فتفوز بسعادة آخرتهـــــا ضمن سعادة دنياهـــا •

وكم هـــو شقي ذلك الزوج الذى يتبع زوجته التى ارتمت في احضان السفاهة فيشاركها ولا يسعى لانقاذها ٠

وما اشقاها تلك الزوجة التي تنظر الى فجور زوجها وفسقه وتقلده بصـــورة اخـرى ٠

والويل ثم الويل لذينك الزوجين اللذين يعين كـــل منهمـا الآخر في دفعه في النار ، اي يغري كل منهما الآخر للانغماس فـــي زخارف المدنيـة ٠

وفحوى هذه الجمل التي وردت بهذا المعنى في رسائل النور هو :

انه لا يمكن ان يكون ـ في هذا الزمان ـ تنعم بحياة عائليـــة وبلوغ سعادة الدنيا والآخرة وانكشاف لسجايا راقية في النساء الا بالتأدب بالآداب الاسلامية التي تحددها الشريعة الغراء ٠

ان اهم نقطة وجانب في حياة الاسر في الوقت الحاضر هي :

انه اذا ما شاهدت الزوجة فسادا في زوجها وخيانة منه وعدم وفاء ، تقوم هي كذلك ـ عنادا له ـ بترك وظيفتها السامية وهـــي الوفاء والثقة فتفسدهما ، وعندئذ يختل نظام تلك الاسرة كليـــا ويذهب هباء منثورا ، كالاخلال بالنظام في الجيش ٠

فلابد للزوجة ان تسعى جادة لاكمال نقص زوجهـــا واصلاح تقصيره كي تنقذ صاحبها الابدي ، والا فهي تخسر وتتضرر في كل جـانب اذا مـا حاولت اظهار نفسها وتحبيبها للآخرين بالتـكشف والتبرج ، لأن الخـــائن يجد جزاءه في الدنيا ايضا ٠ ولأن فطرتها

تتجنب غير المحارم (الاجانب) وتشمئز منهم • فهي تحترز من ثمانية عشرة شخصا من كل عشرين شخصا اجنبيا ، بينما الرجل قد لا يشمئز من النظر الى امرأة واحدة من كل مئة اجنبية •

فكما ان الزوجة تعاني من العذاب من هذه الجهة فهي تضع نفسها موضع اتهام ايضا بعدم الوفاء وفقدان الثقة والامانة ، فلا تستطيع الحفاظ على حقوقها فضلا عن ضعفها •

حاصل الكلام :

كما ان النساء لا يشبهن الرجال ـ من حيث الشفقة والحنان ـ في التضحية ولا في الاخلاص كذلك الرجال لا يبلغون شأوهن في التضحية والفداء • فكما ان النساء والرجال لا يتشابهان في التضحية والاخلاص كذلك لا تدرك المرأة الرجل في السفاهة والغي بأي وجه من الوجوه ، لذا فهي تخاف كثيرا بفطرتها وخلقتها الضعيفة من غير المحارم (الاجانب) وتجد نفسها مضطرة الى الاحتماء بالحجاب • ذلك لأن الرجل اذا ارتكب فسادا لأجل تلذذ ثماني دقائق لا يتضرر الا بضع ليرات ، بينما المرأة تجازى على ثمان دقائق من اللذة ثقلا ثمانية اشهر وتتحمل تكاليف تربية طفل لا حامي له طوال ثمان سنوات • بمعنى ان المرأة لا تبلغ مبلغ الرجال في السفاهة ، لكنها تعاقب عليها اضعاف اضعاف عقاب الرجل •

ان هذه الحوادث ليست نادرة وهي تدل على :

ان النساء مخلوقات مباركة خلقن ليكن منشا للاخلاق الفاضلة

اذ تكاد تنعدم فيهن قابلية في الفسق والفجور للتمتع باذواق الدنيا. بمعنى ان النساء نوع من مخلوقات طيبة مباركة ، خلقن لأجل قضاء حياة اسرية سعيدة ضمن نطاق التربية الاسلامية .

فتباً وسحقاً لتلك المنظمات التي تسعى لافساد هؤلاء الطيبات .

وأسأله تعالى ان يحفظ اخواتي من شرور هؤلاء السفهاء الفاسدين .. آمين ..

اخواتي : اقول لكن هذا الكلام بشكل خاص :

اعملن على كسب نفقاتكن بعمل ايديكن كما تفعل نساء القرى الطيبات واكتفين بالاقتصاد والقناعة المغروزتين في فطرتكن . وهذا أولى من بخس انفسكن بسبب هموم العيش بالرضوخ لسيطرة زوج فاسد ، سيء الخلق ، متفرنج ، واذا ما كان حظ احداكن وقسمتها زوجا لا يلائمها ، فلترض بقسمتها ولتقنع ، فعسى الله ان يصلح زوجها برضاها وقناعتها . والا ستراجع المحاكم لأجل الطلاق - كما اسمع في الوقت الحاضر - وهذا لا يليق قطعا بعزة الاسلام وشرف الأمة .

النكتة الثالثة :

اخواتي العزيزات !

اعلمن قطعا : ان الاذواق والمتع الخارجة عن حدود الشرع فيها من الآلام والمتاعب اضعاف اضعاف لذائذها . وقد أثبتت رسائل النور هذه الحقيقة بمئات من الدلائل المتينة والحوادث القاطعة .

ويمكنكن ان تجدن تفاصيلها في رسائل النور ٠

فمثلا : الكلمة السادسة والسابعة والثامنة من « الكلمات الصغيرة » و « مرشد الشباب » تبين لكن هذه الحقيقة بوضوح تام نيابة عني ٠ فعليكن اذاً القناعة والاطمئنان والاكتفاء بما في حدود الشرع من اذواق ولذائذ ، فملاطفة اولادكن الابرياء ومداعبتهم ومجالستهم في بيوتكن متعة نزيهة تفضل مئات المرات متعة السينما ٠

واعلمن يقينا :

ان اللذة الحقيقية في هذه الدنيا انما هي في الايمان وفي حدود الايمان ٠ وان في كل عمل صالح لذة معنوية ، بينما في الضلالة والغي آلاما منغصة في هذه الدنيا ايضا ٠ هذه الحقيقة اثبتتها رسائل النور بمئات من الادلة القاطعة ٠ فانا شخصيا شاهدت بعين اليقين عبر تجارب كثيرة وحوادث عديدة : ان في الايمان بذرة جنة ، وفي الضلالة والسفه بذرة جهنم ٠ وقد كتبت هذه الحقيقة مرارا في رسائل النور حتى عجز اعتى المعاندين والخبراء الرسميون والمحاكم عن جرح هذه الحقيقة ٠

فلتكن الآن «رسالة الحجاب» ـ في المقدمة ـ «ومرشد الشباب» و«الكلمات الصغيرة» نائبة عني في القاء الدرس عليكن يا اخواتي الطيبات المباركات ويا من هن بمثابة بناتي من الصغيرات ٠ فلقد سمعت انكن ترغبن في ان القي عليكن درساً في الجامع ، ولكن مرضي الشديد ،

فضلا عن ضعفي الشديد ، واسباب أخرى ، تحول دون ذلك . لـذا فقد قررت أن اجعلكن يا اخواتي اللاتي تقرأن درسي هذا الذي كتبته لكن مشاركات لي في جميع مكاسبي المعنوية وفي دعواتي، كطلاب النور.

واذا استطعتن الحصـول على رسـائل النـور وقرأتنهـا أو استمعتن اليها ، نيابة عني ، فانكن تصبحن كاخوانكن طلاب النور، مشاركات لهم في جميع مكاسبهم المعنوية وادعيتهم حسب قاعدتنـا المقـررة (١) .

كنت ارغب ان اكتب اليكن اكثر من هذا ولكن اكتفيت بهـذا القدر لمرضي الشديد وضـعفي الشديـد وشيخـوختي وهـرمي ، وواجبات كثيرة تنتظرني كتصحيح الرسائل .

البـاقي هو البـاقي

اخوكم المحتاج الى دعـائكم

سـعيد النورسـي

---

(١) المقصود : الاشتراك في الاعمال الاخروية ، المذكور في «رسالة الاخلاص » المثال الاول لادامة الاخلاص .

بشرى ‥ وتنبيه !

(رسالة خاصة بأركان مدرسة الزهراء الحاليين)
« بشرى مهمة الى العجائز ‥ وتنبيـه للآنسـات اللائي يفضلن البقاء عازبـات » .

ان مفهوم الحديث « عليكم بدين العجـائز »(١) يحـث على الاقتداء بهن ، بمعنى ان الايمان الراسخ في آخر الزمان يكـون لدى العجـائز .

ولما كان أحد الاسس الاربعة لرسائل النور : « الشفقة » ‥ وان النساء هن رائدات الشفقة والحنان ـ حتى تضحي أشـدهن تخوفاً بروحها ، انقاذا لطفلها ـ وان الوالدات والاخوات المحترمـات يواجهن في هذا الوقت بأحداث جسام ‥ فقد الهم قلبي اخطاراً : أنه

(١) « عليكم بدين العجائز » الديلمي من حديث ابن عمر بلفظ : « اذا كان آخر الزمان واختلفت الاهواء فعليكم بدين الباديـة والنساء » وسنده واه . (الدرر المنتثرة للسيوطي).

يلزم بيان حقيقة فطرية تخص الآنسات، بالرغم من انها لا يجوز البوح بها أو نشرها ، اذ هي خاصة جدا باللائي يرغبن في البقاء في حيـاة العزوبة ، أو اضطررن اليها • فأقول :

يا بنـاتي ويا اخـواتي !

ان زماننا هذا لايشبه الازمنة الغابرة ، فلقد تمكنت التربيـة الحديثة (الاوروبية) في المجتمع بدلا من التربية الاسلامية ، طوال نصف قرن من الزمان • اذ بينما الذي يتزوج ليحصن نفسه من الآثام وليجعل زوجته صاحبته الابدية ، ومدار سعادته الدنيوية ، بدافـع من تربية الاسلام ، تراه يجعل تلك الضعيفة المنكوبة ، بتاثير التربية الاوربية ، تحت سطوته وتحكمه الدائم ، ويحصر حبـه لها في عهـد شبابها وحده ، وربما يزجها في عنت ومشقات تفوق كثيرا ما هيـأ لها من راحة جزئية • فتمضي الحياة في عذاب وآلام ، ولاسيما ان لم يكن الزوج كفؤا ــ بالاصطلاح الشرعي ــ حيث الحقـوق الشرعيـة لاتراعى • واذا ما تداخلت المنـافسة والغـيرة والتقليـد فالبـلاء يتضاعف •

وهكذا فالذى يدفع الى هذا الزواج اسباب ثلاثة :

السبب الأول :

لقد وضعت الحكمة الالهية ميلا وشوقـا في الانسـان لادامـة التناسل • ووضع أجرة لاداء تلك الوظيفة الفطرية ، وهي اللذة • فالرجل ربما يتحمل مشاق ساعة لأجل تلك اللذة التي تدوم عشر

دقائق ـ ان كانت مشروعة ـ بينما المرأة ، تحمل في بطنها الطفل حوالي عشرة أشهر ، مقابل تلك المتعة التي تدوم عشر دقائق ، فضلا عما تتحمل من مشقات طوال عشر سنوات في أعباء حياة طفلها • بمعنى ان تلك اللذة التي تدوم عشر دقائق تزيل أهمية ذلك الميل الفطري ، حيث تسوق الى هذه المصاعب الكثيرة والمتاعب المستمرة•

فيجب اذاً الا تثير احاسيس المرأة ودوافع نفسها ذلك الميل الفطري الى الزواج •

السبب الثاني :

ان المرأة محتاجة فطرة الى من يعينها في أمور العيش ، لضعف في خلقتها • فمن الأولى لها أن تسعى لكسب نفقتها بنفسها ـ كما هي الحال لدى نساء القرى ـ وذلك أفضل لها بعشرات المرات من ان تدفعها تلك الحاجة الى الرضوخ لسيطرة زوج نشأ على تربية غير اسلامية ـ في الحال الحاضرة ـ ومعتاد على الاكراه والفساد ، وربما تحاول الزوجة كسب رضاه بالتصنع وبالاخلال بعبادتها واخلاقها التي هي مدار حياتها الدنيوية والاخروية • كل ذلك لأجل تلك المعيشة البسيطة الزهيدة •

وحيث ان الخالق الكريم يرسل لهن رزقهن مثلما يرسل رزق الصغار من الاثداء • فليس من شأن طالبة النور اذن البحث عن زوج تارك للصلاة ، فاقد للاخلاق ، ثم الرضوخ له لأجل ذلك الرزق •

الثالث :

ان في فطرة المرأة حب الاولاد وملاطفتهم ، والذي يقوي هذا

الميل الفطري ، ويسوق الى الزواج هو خدمة الولد لهـا في الدنيـا ، وشفاعته لها يوم القيامة ، وارساله الحسنات اليها بعد وفاتها • الا ان التربية الاوروبية التي حلت محل التربية الاسلامية في الوقـت الحاضر ، تجعل واحدا أو اثنين من كل عشرة ابنـاء ، ابنـاً بـاراً بوالدته ، ويسجل حسنات في صحيفة أعمالها بادعيته الطيبه وأعمال البر ، ويشفع لهـا ـ ان كان صالحاً ـ يوم القيامة ، فيقابل حقـا شفقة والدته ، بينما الثمانية الباقية من العشرة يهملون هذه الحالة•

لذا فان هذا الميل الفطري والشوق النفساني في حـب الاولاد ومداعبتهم لاينبغي أن يدفع المـرأة في الوقـت الحـاضر الى تحمـل مصاعب هذه الحياة الشاقة ، ان لم تكن مضطرة اليها اضطرارا قاطعا•

فبناء على هذه الحقيقة التي أشرنا اليها ، اخاطب بناتي مـن طالبات النور اللائي يرغبن في حياة العزوبة ، ويفضلن البقاء باكرات، فأقـول :

يجب الا يبعن أنفسهن رخيصات سـافرات كاشفـات ، دون وجدانهن الزوج المؤمن الصالح ذا الاخلاق الحسنة الملائم لهن تماماً ، بل عليهن البقاء في حياة العزوبة ان لم يجدن ذلك الزوج الكفء ، كما هو حال بعض طلاب النور الابطال ، لحين ان يتقدم لطلبها مـن يلائمها ممن تربى بتربية الاسلام ، وله وجدان حي ، ليـكون رفيق حياة ابدية يليق بها • وذلك لئلا تفسد سعادتها الاخروية لأجـل لذة دنيوية طارئة فتغرق في سيئات المدنيـة •

سـعيد النورسي

اشارة قصيرة الى حقيقة مهمة

هناك اشارات لقسم من الاحاديث الشريفة أن حقائق الايمان تبدو بوضوح اكثر لدى النساء في آخر الزمان ، حتى يتمكن من وقاية انفسهن ــ الى حد ــ من مهالك الضلالة في ذلك الوقت. كما ان هناك حثا على الاقتداء بالعجائز في آخر الزمان ، كما هو في الحديث «عليكم بدين العجائز» .

وهذا يعني ان النساء اللاتي هن بطلات الشفقة ورائدات الحنان والعطف ، يحول اخلاصهن النابع من تلك السجية ، دون مهالك الضلالة المتمرغة بالتصنع والرياء في ذلك الوقت ، فيظللن محتفظات باسلامهن .

وهناك حديث آخر فيه : ان أبا البنات مرزوق ، بمعنى أن في آخر الزمان ، يكثر الاناث من الاطفال ، ويكن طيبات ، يبارك الله في أرزاقهن .

كنت أجهل في السابق سر هذا الحديث الشريف وأمثاله ، ولكني ولله الحمد فهمت مؤخرا شيئاً من أسراره ، أشير اليه في غاية الاختصار :

ان اطفال الانسان ليسوا كصغار الحيوانات ، اذ بينما تقدر هذه الصغار على الاعتماد على انفسها في غضون شهرين أو ثلاث ، يحتاج طفل الانسان الى حماية ورعاية مكللة بالرحمة والرأفة ، يستغرق عشر سنوات أو أكثر ٠

وبناء على هذا ، لزم دوام شفقة الوالدات على اطفالهن وحمايتهم حماية جادة ، وهي سجية فطرية مغروزة في الانسان خلافاً للحيوان ٠ أما في الرجال فقد درجت الحكمة الالهية في فطرتهم سجية الشرف والغيرة ، ليتمكنوا من القيام بمعاونة الوالدات الضعيفات والاطفال العاجزين ٠

وضمن هذه السجية ـ الشرف ـ درجت بطولة نادرة خالصة لاتقبل العوض والمقابل ، ولكن دب فيها شيء من الفساد ، فضعفت على أثرها تلك البطولة في معظم الناس ٠ الا ان السجية الفطرية لدى النساء ـ وهي الشفقة والحنان ـ لم تفسد ٠

فالنساء بهذه السجية الفطرية يؤدين خدمات جليلة بين المسلمين في آخر الزمان ، فتلك الاحاديث الشريفة تشير رمزاً الى اهمية هذه السجية الفطرية ودورها في المجتمع ، وكيف انها تكون ركيزة ضمن دائرة الاسلام ٠

موافقة السنة في الزواج

باسمه سبحانه

(وان من شيء الا يسبح بحمده)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ابداً دائماً .

(جواب عن سؤال ورد في صحف نشرت في بلدان خارجية* . مضمون السؤال هو :

« لم بقيت أعزب خلافاً للسنة النبوية ؟ »)

لقد قرأنا رسالتكم على استاذنا الذي يعاني أشد حالات المرض، فقال لنا :

(*) تنقل ادناه نص الرسالة التي بعثها أحدهم الى الاستاذ النورسي في حينه :
« لقد قرأت عددا من رسائل النور مع ترجمة حياتكم ، فرأيت في الترجمة ان من شؤونكم الخاصة : التجرد (العزوبة) وعدم ايجاد علاقة بشيء في الدنيا ، الأمر الذي لوحظ سريانه الى طلاب النور ايضاً .

=

لو لم اكن في حالة شديدة من المرض لكنت اكتب جوابا مفصلا لهؤلاء الاخوة الفاضلين الطيبين ، الا ان حالتي الصحية المتردية لاتسمح لي بذلك • فاكتبوا في غاية الاختصار ، في بضع نقاط ، جواباً لاولئك الاخوة المخلصين البررة ولرفقائي في خدمة القرآن :

اولا :

في الوقت الذي يلزم لصد هجوم زندقة رهيبة تغير منذ أربعين سنة فدائيون يضحون بكل ما لديهم ، قررت الا اضحي لحقيقة القرآن الكريم بسعادتي الدنيوية وحدها ، بل اذا استدعى الأمر بسعادتي الاخروية كذلك ، فلأجل ان اتمكن من القيام بخدمة القرآن

وبما ان هذا مما لايتفق مع قوله تعالى في سورة النساء : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا ترهب في الاسلام » وقوله : « تناكحوا تكثروا فانى اباهي بكم الامم يوم القيامة » • فقد رأيت أن أسألكم ايضاحاً •

واني اعتقد ان الاعتراض الذي أوردته قد يندفع ببيان كون التجرد (العزوبة) مطلوباً لطلاب النور ، ذكورهم والاناث الى سن معينة ، من أجل التفرغ لخدمة القرآن والايمان في سن الفتوة والشباب ، ولكنني لا أرى بدا من البحث عن هذا ، مع تعيين السن التي يتمكن أولئك الطلاب من الزواج بعد الوصول اليها •

وليس لي على كل حال الا انتظار جوابكم المقارن للصواب ان شاء الله •

(نقلا عن كراس صدر ببغداد سنة ١٩٥٣) •

على وجهها باخلاص حقيقي ماكان لي بد من ترك زواج الدنيا الوقتي ـ مع علمي بانه سنة نبوية ـ بل لو وهب لي عشر من الحور العين في هذه الدنيا ، لوجدت نفسي مضطرة الى التخلي عنهن جميعاً ، لأجل تلك الحقيقة ، حقيقة القرآن ، لأن هذه المنظمات الملحدة الرهيبة تشن هجمات عنيفة ، وتدبر مكايد خبيثة ، فلابد لصدها من منتهى التضحية وغاية الفداء ، وجعل جميع الاعمال في سبيل نشر الدين خالصة لوجه الله وحده ، من دون ان تكون وسيلة لشيء مهما كان.

ولقد افتى علماء منكوبون ، وناس اتقياء ، لصالح البدع ، بل ظهروا بمظهر الموالين لهم ، من جراء هموم عيش أولادهم وأهليهم ، فيقتضي منتهى التضحية والفداء ، ومنتهى الثبات والصلابة وغاية الاستغناء عن الناس ، وعن كل شيء ، تجاه الهجوم المرعب العنيف على الدين ، ولاسيما بعد الغاء دروس الدين في المدارس وتبديل الاذان الشرعي ؛ لذا تركت عادة الزواج الذي أعلم انها سنة نبوية لئلا ألج في الحرام ، ولكي اتمكن من القيام بكثير من الواجبات واداء الفرائض . اذ لايمكن أن تقترف محرمات كثيرة لأجل اداء سنة واحدة . فلقد وجد علماء ادوا تلك السنة النبوية أنفسهم مضطرة الى الدخول في عشر كبائر ومحرمات وترك قسم من السنن والفرائض ، في غضون هذه السنوات الاربعين .

ثانيا :

ان الآية الكريمة (فانكحوا ماطاب لكم...) والحديث الشريف

(تناكحوا تكثروا ٠٠)(١) وامثالهما من الاوامر ، ليست أوامر وجوبية ودائمية ، بل استحبابية مسنونة ، فضلا عن انها موقوفة بشروط لابد من توافرها ، وقد يتعذر توافرها للجميع ، وفي كل وقت ٠

ثم ان الحديث الشريف (لا رهبانية في الاسلام) (٢) لايعني ان الانزواء والعزوبة ـ كما هو لدى الرهبان ـ محرمتان مردودتان لا أصل لهما ٠ بل هو حث على الانخراط في الحياة الاجتماعية كما هو مضمون الحديث الشريف (خير الناس انفعهم للناس)(٣) والا فان

---

(١) (تناكحوا تناسلوا أباهي بكم الامم يوم القيامة) رواه عبدالرزاق والبيهقي عن سعيد بن ابي هلال مرسلا بلفظ : (تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة) قال في المقاصد : جاء معناه عن جماعة من الصحابة ، فأخرج أبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم عن معقل بن يسار مرفوعا : تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة ، ولأحمد وسعيد بن منصور والطبراني في الاوسط والبيهقي وآخرين عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول : تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة ، وصححه ابن حبان والحاكم ٠٠ الخ (باختصار عن كشف الخفاء للعجلوني ١٠٢١) ٠

(٢) قال ابن حجر لم أره بهذا اللفظ ، لكن حديث سعد بن ابي وقاص عند البيهقي : ان الله ابدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة ٠ (كشف الخفاء ٣١٥٤) ٠

(٣) حديث حسن أخرجه القضاعي في مسند الشهاب وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/٤٢٠/٢ وانظر الصحيحة ٤٢٦ وصحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٦٥٣٨ ٠

ألوفاً من السلف الصالحين قد اعتزلوا الناس موقتاً ، وآثروا الانزواء في المغارات لفترة من الزمن ، واستغنوا عن زينة الحياة الدنيا الفانية وجردوا انفسهم عنها ، كي يقوموا ببناء حياتهم الاخروية على الوجه الصحيح .

فما دام الكثيرون من السلف الصالحين تركوا الدنيا وزينتها بلوغاً الى كمال باق وخاص بشخصهم ، فلابد ان الذي يعمل لأجل سعادة باقية ، لكثير جدا من المنكوبين ، ويحول بينهم وبين السقوط في هاوية الضلالة ، ويسعى لتقوية ايمانهم ، خدمة للقرآن والايمان خدمة حقيقية ، ويثبت تجاه هجمات الالحاد المغير من الخارج والظاهر في الداخل ، اقول لابد أن الذي يقوم بهذا العمل العام الكلي ، وليس عملا خاصا لنفسه ، لايخالف السنة النبوية بل يعمل طبقا لحقيقة السنة النبوية .

ثم ان الكلام الصادق الصادر من الصديق الاكبر رضي الله عنه : « ليكبر جسمي في جهنم حتى لايبقى موضع لمؤمن » ، اتمنى ان اغنم ذرة واحدة من هذا الكلام الصادق ، ولأجله آثر هذا السعيد الضعيف العزوبة والاستغناء عن الناس طوال حياته كلها .

ثالثا :

لم نقل لطلاب النور : « تخلوا عن الزواج ، دعوه للآخرين » ولا ينبغي ان يقال لهم هذا الكلام . ولكن الطلاب انفسهم على مراتب وطبقات . فمنهم من يلزم عليه الا يربط نفسه بحاجات الدنيا ، قدر

المستطاع ، في هذا الوقت ، وفي فترة من عمره ، بلوغاً الى التضحية العظمى والثبات الاعظم · واذا ما وجد الزوجة التي تعينه على خدمة القرآن والايمان ، فبها ونعمت · اذ لايضر هذا الزواج بخدمته وعمله للقرآن ، ولله الحمد والمنة ففي صفوف طلاب النور من أمثال هؤلاء كثيرون · وزوجاتهم لا يقصرن عنهم في خدمة القرآن والايمان ، بل قد يفقن أزواجهن ويسبقنهم لما فطرن عليه من الشفقة التي لاتطلب عوضاً ، فيؤدين العمل بهذه البطولة الموهوبة لهن باخلاص تام ·

هذا وان المتقدمين والسابقين من طلاب النور أغلبهم متزوجون، وقد أقاموا هذه السنة الشريفة على وجهها ، ورسائل النور تخاطبهم قائلة :

« اجعلوا بيوتكم مدرسة نورية مصغرة ، وموضع تلقي العلم والعرفان ، كي يتربى الاولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة ، على الايمان ، فيكونون لكم شفعاء يوم القيامة ، وأبناء بررة في هذه الدنيا، وعندها تتقرر هذه السنة الشريفة فيكم حقاً·والا لو تربى الأولاد على التربية الاوروبية وحدها ــ كما حدث خلال ثلاثين سنة خلت ــ فان اولئك الأولاد يكونون غير نافعين لكم في الدنيا ــ من جهة ــ ومدعين عليكم يوم القيامة ، اذ يقولون لكم : « لم لم تنقذوا ايماننا ؟ » فتندمون وتحزنون من قولهم هذا ، يوم لاينفع الندم ، وما هذا الا مخالفة لحكمة السنة النبوية الشريفة » ·

(من اللمعة السادسة والعشرين)

ندى الرجاء وبرد الايمان

الرجاء الاول

« الايمان منبع الرجايا »

يا من بلغتم سن الكمال ، أيها الاخوة الشيوخ الاعزاء ، ويا أيتها الاخوات العجائز المحترمات ! انني مثلكم شيخ كبير ، ساكتب لكم بعض ما مر علي من أحوال ، وما وجدته بين حين وآخر من أبواب الأمل ، وبوارق الرجاء في عهد الشيخوخة ، لعلكم تشاركوني في أنوار السلوة المشعة من تلكم الرجايا والآمال • ان ما رأيته من الضياء ، وما فتحه الله علي من أبواب النور والرجاء ، انما شاهدته ـ وفتح علي ـ حسب استعدادي الناقص وقابلياتي المشوشة ، وستجعل استعداداتكم الخالصة الصافية ـ باذن الله ـ ذلك الضياء أسطع وأبهر مما رأيته ، وذلكم الرجاء أقوى وأمتن مما وجدته •

ولا ريب ان منبع ما سنذكره من الأضواء ومصدر ما سنورده من الرجايا ما هو الا « الايمان » •

الرجاء الثاني

« رحمة الخالق الكريم »

حينما شارفت على الشيخوخة ، وفي أحد أيام الخريف ، وفي وقت العصر ، نظرت الى الدنيا من فوق ذروة جبل ، فشعرت فجأة حالة في غاية الرقة والحزن مع ظلام يكتنفها ، تدب في أعماقي ٠ ٠ رأيت نفسي : انني بلغت من العمر عتياً ، والنهار قد غدا شيخاً ، والسنة قد اكتهلت ، والدنيا قد هرمت ٠٠٠ فهزني هذا الهرم الذي يغشى كل شيء حولي هزا عنيفا ٠ فلقد دنا أوان فراق الدنيا تحت انواء هذه الالوان من الشيخوخة المتداخلة ، وأوشك أوان فراق الأحباب ان يحل ٠٠٠ وبينما اتململ يائساً حزيناً اذا بالرحمة الالهية تنكشف امامي انكشافا حول ذلك الحزن المظلم الى فرحة قلبية مشرقة ، وبدل ذلك الفراق المؤلم للاحباب الى عزاء يضيء جنبات النفس كلها ٠

نعم يا أمثالي من الشيوخ ! ان الله سبحانه وتعالى الذي يقدم ذاته الجليلة الينا ، ويعرفها لنا في اكثر من مائة موضع في القرآن الكريم ، بصفة « الرحمن الرحيم » ٠ والذي يريد الرحمة بنا بما يسبغ على وجه الأرض دوماً من النعم ، والذي يرسل رحمته مددا وعونا لمن استرحمه من ذوي الحياة ، والذي يبعث بهداياه من عالم الغيب فيغمر الربيع كل سنة بنعم لا تعد ولا تحصى ، يبعثها الينا نحن المحتاجين الى الرزق ، مظهرا بها بجلاء تجليات رحمته العميمة ،

وفق مراتب الضعف ودرجات العجز الكامنة فينا ، فرحمة خالقنا الرحيم هذه اعظم رجاء ، واكبر أملا في عهد شيخوختنا هـــذه . بل هي أسطع نوراً لنا •

ان ادراك تلك الرحمة والظفر بها ، انما يكون بالانتساب الى ذلك « الرحمن » بالأيمان ، وبالطاعة له سبحانه باداء الفرائض والواجبـــات •

الرجاء الثالث

« نوره صلى الله عليه وسلم »

حينما أفقت على صبح المشيب ، من نوم ليل الشباب ، نظرت الى نفسي متأملا فيها ، فوجدتها كأنها تنحدر سعياً من عل الى ســواء القبر ، مثلما وصفها نيازي المصري(١) :

بناء العمر يذوي حجراً اثر حجر
غافلا يغط الجسد وبناؤه قد اندثر
ايها الغافل فاحذر

---

(١) نيازي المصري : شاعر تركي صوفي (١٦١٨ ـ ١٦٩٤م) • ولد في قرية قريبة لولاية «ملاطية» • أكمل دراسته في الازهر الشريف فلقب بـ «المصري» • له ديوان شعر ومؤلفات منهـا : رسالة الحسنين ، موائد العرفـان وعوائد الاحسان ، هـداية الاخوان • تولى الارشاد في مدارس استانبول العلمية •

فجسمي الذي هو مأوى روحي ، بدأ يتداعى ويتساقط حجرا اثر حجر على مر الايام ... وآمالي – التي كانت تشدني بقوة الى الدنيا – بدأت أوثاقها تنفصم وتنقطع . فدب في شعور بدنو وقت مفارقة من لا يحصى من الأحبة والأصدقاء ، فاخذت ابحث عن ضماد لهذا الجرح المعنوي الغائر ، الذي لا يرجى له دواء ناجع كما يبدو !. لم أستطع أن اعثر له على علاج ، فقلت ايضا كما قـــال نيـــازي المصري :

حكمة الاله تقضي فنـــاء الجسد
والقلب تواق الى الأبـــد
لهف نفسي من بلاء وكمـد
حـار لقمان في ايجـاد الضمـد

ايها الغافل فاحذر

وبينما كنت كذلك اذا بنور الرسول الكريم صلى الله عليـــه وسلم – الذي هو رحمة الله على العالمين ، ومثالها الذي يعبر عنهـا ، والداعي اليها ، والناطق بها – واذا بشفاعته ، وبما أتاه من هـدية الهداية الى البشرية ، يغمر كياني وكل جوارحي حتى اصبح بلسمـاً شافياً ، ودواء ناجعا لذلك الداء الوخيم الذي ظننته بلا دواء ، ويبدل ذلك اليأس القاتم الذي احاطنى الى نور الرجاء الساطع ...

أجل ، أيها الشيوخ وايتها العجائز الموقرون ، ويامن تشعرون كلكم بالشيخوخة مثلي ... اننا راحلون ولا مناص من ذلك ...

ولن يسمح لنا بالمكوث هنا بمخادعة النفس واغماض العين ، فنحن مساقون الى المصير المحتوم • ولكن عالم البرزخ ، ليس هو كما يتراءى لنا بظلمات الأوهام الناشئة من الغفلة ، وبما قد يصوره أهل الضلالة ، فليس هو بعالم الفراق ، ولا بعالم مظلم ، بل هو مجمع الأحباب ، وعالم اللقاء مع الأحبة الأخلاء كلهم ، وفي طليعتهم حبيب رب العالمين وشفيعنا عنده يوم القيامة عليه افضل الصلاة والسلام •

نعم ، ان من هو سلطان ثلاثمئة وخمسين مليونا من الناس في كل عصر ، عبر الف وثلثمئة وخمسين سنة وهو مربي ارواحهم ، ومرشد عقولهم ، ومحبوب قلوبهم ، والذي يرفع الى صحيفة حسناته يوميا أمثال ما قدمت أمته من حسنات ، اذ « السبب كالفاعل » ، والذي هو مدار المقاصد الربانية ، ومحور الغايات الالهية السامية في الكون ، والذي هو السبب لرقي قيمة الموجودات وسموها ، ذلكم الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام ، فكما أنه قال في الدقائق الاولى التي تشرف العالم به «أمتي •• أمتي ••» كما ورد في الروايات الصحيحة ، والكشفيات الصادقة ، فانه صلى الله عليه وسلم يقول في المحشر أيضا : « أمتي ••• أمتي •• » ويسعى بشفاعته الى امداد أمته واغاثتها باعظم رحمة وأسماها وأقدسها واعلاها ، في الوقت الذي يقول كل فرد من الجموع العظيمة : « نفسي ••• نفسي » • فنحن اذن ذاهبون الى العالم الذي ارتحل اليه هذا النبي الكريم ،

راحلون الى العالم الذى استنار بنور ذلك السراج المنير وبمن حوله من نجوم الأصفياء والأولياء الذين لا يحصرهم العد ٠

نعم ، ان اتباع السنة الشريفة لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هو الذي يقود الى الانضواء تحت لواء شفاعته والاقتباس من أنواره ، والنجاة من ظلمات البرزخ ٠

الرجاء الرابع

« القرآن الحكيم »

حينما وطأت قدماي عتبة الشيخوخة ، كانت صحتي الجسدية - التي ترخي عنان الغفلة وتمـــدها - قد اعتلت ايضا ، فاتفقت الشيخوخة والمرض معاً على شن الهجوم علي ، وما زالا يكيلان على رأسي الضربات تلو الضربات حتى أذهبا نوم الغفلة عني ٠ ولم يكن لي ثمة ما يربطني بالدنيا من مال وبنين وما شابه ، فوجـــدت ان عصارة عمري الذي أضعته بغفلة الشباب ، انما هي آثام وذنوب ، فاستغثت صائحا مثلما صاح نيازي المصري :

ذهب العمر هباء ، لم أفز فيه بشيء
ولقد جئت اسير الدرب ، لـــكن
رحـــل الركب بعيـــداً
وبقيت

ذلك النائى الغريب

وبكيت

همت وحدي تائهاً اطوي الطريق

وبعيني ينابيـــع الدموع

وبصـــــدري حرقـــة الشوق

حار عقلي ... ايها الغافل فاحذر !

كنت حينها في غربة مضنية ، فشعرت بحزن يائس ، وأسف مؤلم ، وحسرة ملتاعة على ما فات من العمر . صرخت مـن اعمـاقي اطلب امـــداد العون ، وضياء الرجاء ... واذا بالقرآن الحكيم ـ المعجز البيان ـ يمدني ، ويسعفني ، ويفتح امامي باب رجـــاء عظيم ، ويمنحني نوراً ساطعاً من الأمل والرجاء يستطيع ان يزيل أضعاف أضعاف يأسي ، ويمكنه ان يبدد تلك الظلمات القاتمة مـن حـــولي .

نعم ، ايها الشيوخ وايتها العجائز المحترمون ، يامـــن بدأت اوثاق صلتهم بالانفصام عن الدنيا مثلي : ان الصانع ذا الجلال الذي خلق هذه الدنيا كأكمل مدينة وأنظمها ، حتى كأنها قصر منيف ، هل يمكن لهذا الخالق الكريم الا يتكلم مع احبائه وأكرم ضيوفه في هذه المدينة أو في هذا القصر ؟ وهل يمكن الا يقابلهم ؟!!

فما دام قد خلق هذا القصر الشامخ بعلم ، ونظمه بارادة ، وزينه باختيار ، فلابد انه يتـــكلم ، اذ كمـــا ان « الباني يعلم »

« فالعالم يتكلم » • وما دام قد جعل هذا القصر دار ضيافة جميلة بهيجة ، وجعل هـذه المدينة متجرا رائعا ، فلابد ان يـكون له كتب وصحف يبين فيها ما يريده منا ، ويوضح علاقاته معنا •

ولاشك ان اكمل كتاب من تلك الكتب المقدسة التي انزلها ، انما هو القرآن الحكيم المعجز ، الذي ثبت اعجازه بأربعين وجهاً من وجوه الاعجاز(١) والذي يتلى في كل دقيقة بالسنة مليون شخص في الأقل ، والذي ينشر النور ويهدي السبيل • والذي في كـل حرف من حروفه عشر حسنات ، وعشر مثوبات في الأقل ، واحياناً عشرة آلاف حسنة ، بل ثلاثين ألف حسنة ـ كما في ليلة القدر ـ وهكذا يمنح من ثمار الجنة ونور البرزخ ما شاء الله ان يمنح • فهـل في الكون أجمع كتاب يناظره في هذا المقام ، وهل يمكن ان يدعي ذلك أحـد قط ؟

فما دام هـذا القرآن الـكريم الذي بين أيدينا هو كلام رب العالمين ، وهو أمره المبلغ الينا ، وهو منبع رحمته التي وسعت كـل شيء ، وهو صادر من خالق السموات والارض ذي الجلال ، مـن جهة ربوبيته المطلقة ، ومن جهة عظمة الوهيته ، ومن جانب رحمتـه المحيطة الواسعة ، فاستمسك به واعتصم ، ففيه دواء لـكل داء ، ونور لكل ظلام ، ورجاء لكل يأس •• ومـا مفتاح هـذه الخزينة

(١) راجع رسالة « المعجزات القرآنية » •

الابدية الا الايمان والتسليم ، والاستماع اليه ، والانقياد لـــه ، والاستمتاع بتلاوته ٠

الرجاء الخامس

« الايمان بالآخرة »

في بدايـــة شيخوختي ومستهلها ، ورغبـــة مني في الانزواء والاعتزال عن الناس ، بحثت روحي عن راحة في الوحدة والعزلة على تل « يوشع » المطل على البسفور ٠ فلما كنت ـ ذات يوم ـ اسرح بنظري الى الافق مـــن على ذلك التل المرتفـــع ، رأيت ـ بنذير الشيخوخة ، لوحة من لوحات الزوال والفراق تتقطر حزناً ورقـــة ، حيث جلت بنظري من قمـــة شجرة عمري ، مـــن الغصن الخامس والاربعين منها ، الى ان انتهيت الى أعماق الطبقات السفلى العميقة ، فرأيت ان في كل غصن من تلك الاغصان الكائنة هناك ، جنـــائز لا تحصر من جنائز أحبابي وأصدقائي وكل من له علاقة معي ٠ فتأثرت بالغ التأثر من فراق الاحباب وافتراقهم ، بمثل ما وصفه « فضولي البغدادي »(١) بأنين عند مفارقته الأحباب قائلا :

---

(١) شاعر عـــاش في القرن السادس عشر الميلادي وهو مؤسس الأدب العثماني الاذري ، له اشعار ودواوين في اللغات التركية والعربية والفارسية توفي سنة ١٥٥٥م ، من اعماله المشهورة « ليلى ومجنون » اسمه الحقيقي : محمد ٠

كلمـــا حـــن الوصــــال
عذب دمعي مــــا دام الشهيق

لقد بحثت من خلال تلك الحسرات الغائرة عن باب رجــــاء ، وعن نافذة نور ، أسلي بها نفسي · فاذا بنور الايمان بالآخـــــرة يغيثني ويمدني فوراً بنور باهر · انه حقاً نور لا ينطفىء أبدا ، ورجاء لا يخيب مطلقا ·

اجل يا اخواني الشيوخ ويا أخواتي العجائز ، ما دامت الآخرة موجودة ، وما دامت هي باقية خالدة ، وما دامت هي أجمـــل مـــن الدنيا ، وما دام الذي خلقنا حكيماً ورحيماً ، فما علينا اذاً الا عدم الشكوى من الشيخوخة ، وعدم التضجر منها ، ذلك لأن الشيخوخة المشربة بالايمان والعبادة ، والموصلة الى سن الكمال ، مـــا هي الا علامة انتهاء واجبات الحياة ووظائفها ، واشارة الى الارتحـــال الى عالم الرحمة للخلود الى الراحة · فلابد اذن من الرضا بهـــا أشـــد الرضـــا ·

نعم ان اخبار مئة واربعة وعشرين الفا من المصطفين الاخيـــار وهم الانبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام ـ كمـا نص عليـــه الحديث ـ أخباراً بالاجماع والتواتر مستندين الىالشهود عندبعضهم والى حق اليقين عند آخرين ، عن وجود الدار الآخرة ، واعـــلانهم بالاجماع : ان الناس سيساقون اليها ، وان الخالق سبحانه وتعالى سيأتي بالدار الآخرة بلا ريب ، مثلما وعد بذلك وعداً قاطعاً ·

وان تصديق مائة واربعة وعشرين مليونا من الاولياء كشفاً وشهودا ما أخبر به هـؤلاء الأنبياء عليهم السلام ، وشهادتهم على وجود الآخرة بعلم اليقين دليل قاطع واي دليل على وجود الآخرة .

وكذا ... فان تجليات جميع الأسماء الحسنى لخالق الكون المتجلية في ارجاء العالم كله ، تقتضي بالبداهة وجود عالم آخر خالد ، وتدل دلالة واضحة على وجود الآخرة .

وكذا القدرة الآلهية وحكمتها المطلقة ، التي لا اسراف فيها ولا عبث ، والتي تحيي جنائز الأشجار الميتة وهياكلها المنتصبة ، تحييها وهي لاتعد ولا تحصى على سطح الأرض في كل ربيع ، وفي كل سنة ، بأمر « كن فيكون » وتجعلها علامة على « البعث بعد الموت » فتحشر ثلاثمئة ألف نوع من طوائف النباتات وأمم الحيوانات وتنشرها ، مظهرة بذلك مئات الالوف من نماذج الحشر والنشور ودلائل على وجود الآخرة .

وكذا الرحمة الواسعة التي تديم حياة جميع ذوي الأرواح المحتاجة الى الرزق ، وتعيشها بكمال الرأفة عيشة خارقة للغاية . والعناية الدائمة التي تظهر انواع الزينة والمحاسن بما لايعد ولا يحصى ، في فترة قصيرة جداً في كل ربيع. لاشك أنهما تستلزمان وجود الآخرة بداهة .

وكذا ... عشق البقاء ، والشوق الى الأبدية وآمال السرمدية المغروزة غرزاً لا انفصام لها في فطرة هذا الانسان الذي هو اكمل ثمرة

لهذا الكون ، وأحب مخلوق الى خالق الكون ، وهو أوثق صلة مع موجودات الكون كله ، لاشك أنه يشير بالبداهة الى وجود عالم باق بعد هذا العالم الفاني ، والى وجود عالم الآخرة ودار السعادة الأبدية.

فجميع هذه الدلائل تثبت بقطعية تامة ـ الى حد يستلزم القبول ـ وجود الآخرة بمثل بداهة وجود الدنيا *

فما دام أهم درس يلقننا القرآن اياه هو « الأيمان بالآخرة » ، وهذا الدرس رصين ومتين الى هذه الدرجة ، وفي ذلك الايمان نور

(*) ان مدى السهولة في اخبار « الأمر الثبوتي » ومدى الصعوبة والاشكال في « نفي وانكار » ذلك ، يظهر في المثال الآتي :
اذا قال أحدهم : ان هناك ـ على سطح الارض ـ حديقة خارقة جداً ثمارها كعلب الحليب ، وأنكر عليه الآخر قوله هذا قائلا : لا ، لاتوجد مثل هذه الحديقة .
فالاول يستطيع ـ بكل سهولة ـ ان يثبت دعواه . بمجرد اراءة مكان تلك الحديقة أو بعض ثمارها . أما الثاني أي (المنكر) فعليه ان يرى ويري جميع انحاء الكرة الارضية لأجل ان يثبت نفيه ، وهو عدم وجود مثل هذه الحديقة .
وهكذا الأمر في الذين يخبرون عن الجنة ، فانهم يظهرون مئات الآلاف من ترشحاتها ، ويبينون ثمارها واثارها ، علماً ان شاهدين صادقين منهم كافيان لاثبات دعواهم ، بينما المنكرون لوجودها ، لايسعهم اثبات دعواهم الا بعد مشاهدة الكون غير المحدود ، والزمن غير المحدود ، مع سبر غورهما بالبحث والتفتيش ، وعند عدم رؤيتهم لها ، يمكنهم اثبات دعواهم !
فاعلموا اذن يا اخوتي الشيوخ مدى قوة الايمان بالآخرة ومدى رصانته ! (النورسي) .

باهر ورجاء شديد وسلوان عظيم ما لو اجتمعت مئة الف شيخوخة في شخص واحد لكفاها ذلك النور ، وذلك الرجاء ، ذلك السلوان النابع من هذا الايمان ، لذا علينا نحن الشيوخ ان نفرح بشيخوختنا ونبتهج قائلين :

« الحمد لله على كمال الأيمان » ٠

الرجاء السادس

« نور الايمان بالله »

حينما كنت في منفاي ــ ذلك الأسر الأليم ــ بقيت وحدي منفرداً منعزلا عن الناس على قمة جبل « چام »(١) المطلة على مراعي « بارلا » (٢)٠٠٠ كنت أبحث عن نور في تلك العزلة ٠٠ وذات ليلة ، في تلك الغرفة الصغيرة غير المسقفة ، المنصوبة على شجرة صنوبر عالية ، على قمة ذلك المرتفع،اذا بشيخوختي تشعرني بألوان وانواع من الغربة المتداخلة ــ كما جاء ذلك في المكتوب السادس بوضوح ــ ففي سكون تلك الليلة حيث لا أثر ولا صوت سوى ذلك الصدى الحزين لحفيف الأشجار وهمهمتها ٠٠٠ احسست بأن ذلك الصدى

---

(١) اي الجبل المكسو باشجار الصنوبر ٠

(٢) قرية نائية على جبال طوروس في جنوب غربي تركيا ٠ نفي اليها الاستاذ النورسي في شباط سنة ١٩٢٦ ، وظل فيها تحت الاقامة الجبرية حتى سيق منها موقوفاً في صيف سنة ١٩٣٤ الى اسبارطة ٠

الأليم قد أصاب صميم مشاعري ، ومس أعماق شيخوختي وغربتي ، فهمست الشيخوخة في اذني منذرة :

ـ كما ان النهار قد تبدل الى هـذا القبر الحـالك ، ولبست الدنيا كفنها الأسود ، فسوف يتبدل نهار عمرك الى ليل ، وسـوف ينقلب نهار الدنيا الى ليل البرزخ ، وسوف يتحول نهار صيف الحياة الى ليل شتاء الموت •

فأجابتها نفسي على مضض :ـ

نعم ، كما انني غريبة هنا عن بلدتي ونائية عن موطني ، فـان مفارقتي لأحبائي الكثيرين خلال عمري الذي ناهز الخمسين ولا أملك سوى تذراف الدموع وراءهم هي غربة تفوق غربتي عن موطني••• واني لأشعر في هذه الليلة غربة اكثر حزناً وأشد ألماً من غربتي عـلى هذا الجبل الذي توشح بالغربة والحزن، فشيخوختي تنذرني بدنوي من موعد فراق نهائي عن الدنيا وما فيها ، ففي هذه الغربة المكتنفـة بالحزن ، ومن خلال هذا الحزن الذي يمازجه الألم ، بدأت أبحث عن نور ، وعن قبس أمل ، وعن باب رجاء ، وسرعان ما جاء « الأيمـان بالله » لنجدتي ولشد أزري ، ومنحني أنساً عظيماً بحيث لو تضاعفت آلامي ووحشتي اضعافاً مضاعفة لكان ذلك الانس كافياً لشفاء نفسي•

نعم ، ايها الشيوخ ، ويا ايتها العجائز •• فما دام لنا خـالق رحيم ، فلا غربة لنا اذاً أبداً••• ومادام سبحانه موجودا فكل شيء لنا موجود اذاً ، وما دام هو موجوداً وملائكته موجودة ، فهذه الدنيـا

اذن ليست خالية لا أنيس فيها ولا حسيس ، وهذه الجبال ليست موحشة خاوية ، وتلك الصحارى ليست مقفرة غير مسكونة ، بل كلها عامرة ومأهولة بعباد الله المكرمين ، بالملائكة الكرام ٠ نعم ، ان نور الايمان بالله سبحانه ، والنظرة الى الكون لأجله ، يجعل الأشجار بل حتى الأحجار كأنها أصدقاء مؤنسون فضلا عن ذوي الشعور من عباده ، حيث يمكن لتلك الموجودات ان تتكلم معنا بلسان الحال ، بما يسلينا ويروح عنا ٠

نعم ، ان هناك دلائل على وجوده سبحانه بعدد موجودات هذا الكون وبعدد حروف كتاب العالم الكبير هذا ٠٠ وهناك دلائل وشواهد على وجوده بعدد اجهزة ذوى الارواح ، وما خصهم من نعمه ومطعوماته التي هي محور الشفقة والرحمة والعناية ٠٠ فجميعها تدل على باب خالقنا الكريم وصانعنا الانيس وحامينا الودود ٠

ولاشك ان العجز والضعف هما ارجى شفيعين عند ذلك الباب السامي ٠٠ وان عهد الشيب أوانهما ووقت ظهورهما ، فعلينا اذن ان نود الشيخوخة ونحبها ، لا ان نعرض عنها ٠ اذ هي شفيع مرتجى امام ذلك الباب الرفيع ٠

الرجاء السابع

« الايمان سلوان »

حينما تبدلت نشوة « سعيد القديم » وابتساماته الى نحيب

« سعيد الجديد » (١) وبكائه ، وذلك في بداية المشيب ، دعاني أرباب الدنيا في « آنقرة » اليها ، ظناً منهم انني (سعيد القديم) فاستجبت للدعوة .

ففي ذات يوم من الأيام الأخيرة للخريف ، صعدت الى قمة قلعة آنقرة ، التي أصابها الكبر والبلى اكثر مني ، فتمثلت تلكم القلعة أمامي كأنها حوادث تاريخية متحجرة ، واعتراني حزن شديد وأسى عميق من شيب موسم الخريف ، ومن شيبي أنا ، ومن هرم القلعة ، ومن هرم البشرية ، ومن شيخوخة الدولة العثمانية العلية ، ومن وفاة سلطنة الخلافة ، ومن شيخوخة الدنيا . فاضطرتني تلك الحالة الى النظر من ذروة تلك القلعة المرتفعة الى أودية الماضي وشواهق المستقبل ، أنقب عن نور ، وابحث عن رجاء وعزاء ينير ما كنت أحس به من آكثف الظلمات التي غشيت روحي هناك وهي غارقة في ليل هذا الهرم المتداخل المحيط (٢) .

فحينما نظرت الى اليمين ــ الذي هو الماضي ــ باحثاً عن نور ورجاء بدت لي تلك الجهة من بعيد على هيئة مقبرة كبرى لأبي

---

(١) يطلق الاستاذ النورسي على نفسه ، قبل الشروع بتأليف « رسائل النور » لقب « سعيد القديم » ، أما بعد ذلك فهو « سعيد الجديد » ــ (المترجم) .

(٢) وردت هذه الحالة الروحية على صورة مناجاة الى القلب باللغة الفارسية ، فكتبتها كما وردت، ثم طبعت ضمن رسالة «حباب» في انقرة . (النورسي) .

وأجدادي والنوع الانساني، فأوحشتني بدلا من ان تسليني وتمنحني النـور •

ثم نظرت الى اليسار ـ الذي هو المستقبل ـ مفتشاً عن الدواء، فتراءى لي على صورة مقبرة كبرى مظلمـة لي ولأمثـالي وللجيـل القابل ، فأدهشني عوضاً من ان يؤنسني •

ثم نظرت الى زمني الحاضر ـ بعد ان امتلأ قلبي بالوحشة مـن اليمين واليسار ـ فبدا ذلك اليوم لنظري الحسير ونظرتي التاريخية على شكل نعش لجنازة جسمي المضطرب كالمذبوح بينالموتوالحياة•

فلما يئست من هذه الجهة أيضاً ، رفعت رأسي ونظرت الى قمة شجرة عمري ، فرأيت : ان على تلك الشجرة ثمرة واحدة فقـط ، وهي تنظر الي ، تلك هي جنازتي فطأطأت رأسي ناظـراً الى جـذور شجرة عمري ، فرأيت : ان التراب الذي هناك ما هو الا رميم عظامي، وتراب مبدأ خلقتي قد اختلطا معاً وامتزجا ، وهما يداسـان تحـت الأقدام ، فأضافا الى دائي داءاً من دون ان يمنحاني دواءاً •

ثم حولت نظري على مضض الى ما ورائي ، فرأيت : ان هـذه الدنيا الفانية الزائلة تتدحرج في أودية العبث وتنحـدر في ظلمـات العدم ، فسكبت هذه النظرة السم على جروحي بدلا من ان تواسيها بالمرهم والعلاج الشـافي •

ولما لم أجد في تلك الجهة خيرا ولا أملا ، وليت وجهي شـطر

الأمام ورنوت بنظري بعيداً ، فرأيت : ان القبر واقف لي بالمرصاد على قارعة الطريق ، فاغراً فاه ، يحدق بي ، وخلفه الصراط الممتد الى حيث الأبد ، وتتراءى القوافل البشرية السائرة على ذلك الصراط من بعيد ·

وليس لي من نقطة استناد أمام هذه المصائب المدهشة التي تأتيني من الجهات الست ، ولا أملك سلاحاً يدفع عني غير جزء ضئيل من الارادة الجزئية ·

فليس لي اذن امام كل اولئك الاعداء الذين لا حصر لهم ، والأشياء المضرة غير المحصورة ، سوى السلاح الانساني الوحيد وهو الجزء الاختياري · ولكن لما كان هذا السلاح ناقصاً وقاصرا وعاجزا ، ولا حول له على ايجاد شيء ، وليس في طوقه الا الكسب فحسب ـ حيث لا يستطيع ان يمضي الى الزمان الماضي ويذب عني الاحزان ويسكتها ، ولا يمكنه ان ينطلق الى المستقبل حتى يمنع عني الأهوال والمخاوف الواردة منه ـ أيقنت الا جدوى منه فيما يحيط بي من آلام الماضي وآمال المستقبل ·

وفيما كنت مضطرباً وسط الجهات الست تتوالى علي منها صنوف الوحشة والدهشة واليأس والظلمة ، اذا بأنوار الايمان المتالقة في وجه القرآن ـ المعجز البيان ـ تمدني وتضيء تلك الجهات الست وتنورها بانوار باهرة ساطعة ما لو تضاعف ما انتابني من صنوف الوحشة وأنواع الظلمات مائة مرة ، لكانت تلك الأنوار

كافية ووافية لأحاطتها • فبدلت ـ تلك الأنوار ـ السلسلة الطويلة من الوحشة الى سلوان ورجاء ، وحولت كل المخاوف الى أنس القلب، وأمل الروح الواحدة تلو الأخرى •

نعم ، ان الايمان قد مزق تلك الصورة الرهيبة للماضي ـ وهي كالمقبرة الكبرى ـ وحولها الى مجلس منور أنوس والى ملتقى الأحباب ، وأظهر ذلك بعين اليقين وحق اليقين •

ثم ان الايمان قد أظهر ـ بعلم اليقين ـ ان المستقبل الذي يتراءى لنا ـ بنظر الغفلة ـ كقبر واسع كبير ما هو الا مجلس ضيافة رحمانية أعدت في قصور السعادة الخالدة •

ثم ان الايمان قد حطم صورة التابوت والنعش للزمن الحاضر ـ التي تبدو بنظر الغفلة ـ واشهدني ان الحاضر انما هو متجر أخروي ، ودار ضيافة رائعة للرحمن •

ثم ان الايمان قد بصرني ـ بعلم اليقين ـ ان ما يبدو لنا بنظر الغفلة من الثمرة الوحيدة التي هي فوق شجرة العمر على شكل نعش وجنازة • انها ليست كذلك ، وانما هي انطلاق لروحي ـ التي هي أهل للحياة الأبدية ومرشحة للسعادة الأبدية ـ من وكرها الضيق الى حيث آفاق النجوم للسياحة والارتياد •

ثم ان الايمان قد بين بأسراره : ان تراب عظامي ورميمها ، وتراب بداية خلقتي ، ليسا تراباً حقيراً فانياً يداس تحت الأقدام ، وانما هو باب للرحمة ، وستار لسرادق الجنة •

ثم ان الايمان أراني بفضل اسرار القرآن الكريم ان أحوال الدنيا وأوضاعها المنهارة في ظلمات العدم ـ بنظر الغفلة ـ لا تتدحرج هكذا في غياهب العدم ـ كما ظن في بادىء الأمر ـ بل أنها نوع من رسائل ربانية ومكتوبات صمدانية ، وصحائف نقوش للأسماء السبحانية قد اتمت مهامها ، وأفادت معانيها ، وأخلفت عنها نتائجها في الوجود ، فأعلمني الايمان بذلك قيمة الدنيا وماهيتها علم اليقين.

ثم ان الايمان قد اوضح لي بنور القرآن الكريم ان ذلك القبر الذي أحدق بي ناظراً ومنتظرا ليس هو بفوهة بئر ، وانما هو باب لعالم النور ، وان ذلك الطريق المؤدي الى الأبد ليس طريقاً ممتدا ومنتهياً بالظلمات والعدم ، بل انه سبيل سوي الى عالم النور، وعالم الوجود وعالم السعادة الخالدة ... وهكذا أصبحت هذه الاحوال دواء لدائي ، ومرهماً له ، حيث قد بدت واضحة جلية فأقنعتني قناعة تامة .

نعم ، ان الايمان يمنح ذلك الجزء الضئيل من الجزء الاختياري ـ الذي يملك كسباً جزئياً للغاية ـ وثيقة يستند بها الى قدرة مطلقة ، وينتسب بها الى رحمة واسعة ، ضد تلك الكثرة الكاثرة من الاعداء والظلمات المحيطة ، بل ان الايمان نفسه يكون وثيقة بيد الجزء الاختياري . ثم ان هذا الجزء الاختياري الذي هو السلاح الانساني ، وان كان في حد ذاته ناقصاً عاجزاً قاصرا ، الا انه اذا استعمل باسم الحق سبحانه ، وبذل في سبيله ، ولأجله ، يمكن ان ينال به ـ بمقتضى الايمان ـ جنة أبدية بسعة خمسمائة سنة . مثل

المؤمن في ذلك مثل الجندي اذا استعمل قوته الجزئية باسم الدولة فانه يسهل له ان يؤدي أعمالا تفوق قوته الشخصية بألوف المرات .

وكما ان الايمان يمنح الجزء الاختياري وثيقة ، فانه يسلب زمامه من قبضة الجسم ـ الذي لايستطيع النفوذ في الماضي ولا في المستقبل ـ ويسلمه الى القلب والروح ، ولعدم انحصار دائرة حياة الروح والقلب في الزمن الحاضر ـ كما هو في الجسد ـ ولدخول سنوات عدة من الماضي وسنوات مثلها من المستقبل في دائرة تلك الحياة ، فان ذلك الجزء الاختياري ينطلق من الجزئية مكتسباً الكلية، فكما انه يدخل بقوة الايمان في أعمق أودية الماضي مبدداً ظلمات الأحزان ، كذلك يصعد محلقاً بنور الايمان الى أبعد شواهق المستقبل مزيلا أهواله ومخاوفه .

فيا ايها الأخوان الشيوخ ، ويا ايتها الأخوات العجائز ، ويا من تتألمون مثلي من تعب المشيب ، ما دمنا ـ والحمد لله ـ من أهل الايمان ، والايمان فيه خزائن حلوة نيرة لذيذة محبوبة الى هذا الحد. وان شيبنا يدفعنا الى هذه الخزائن دفعاً اكثر ، فليس لنا التشكي من الشيخوخة اذاً ، بل يجب علينا ان نقدم ألف شكر وشكر الى الله عز وجل ، وان نحمده تعالى على شيبنا المنور بالايمان .

رسالة الحجاب

(كانت هذه هي المسألة الثانية والثالثة من « المذكرة الخامسة عشرة » الا ان أهميتها جعلتها « اللمعة الرابعة والعشرين ») .

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا ايها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) .

الى آخر الاية : الاحزاب ٥٩ .

هـذه الآية الكريمة تأمر بالحشمة والحجاب ، بينما تذهب المدنية الزائفة الى خلاف هـذا الحـكم الربـاني ، فلا ترى الحشمة والتستر أمراً فطريا للنساء ، بل تعده أسرا وقيدا لهن(*) .

(*) هذه فقرة من اللائحة المرفوعة الى محكمة التمييز ، القيت امام المحكمة ، فأسكتتها ، واصبحت حاشية لهذا المقام :
« وانا اقول لمحكمة وزارة العدل الموقرة !
ان ادانة من يفسر أقدس دستور الهي وهو الحق بعينـه ، =

وسنبين – جوابا – أربعا من الحكم فقط من بين حكم غزيرة دالة على كون هذا الحكم القرآني تقتضيه فطرة النساء وخلافه غير فطري .

الحكمة الاولى :

ان الاحتشام والحجاب امر فطري للنساء ، تقتضيه فطرتهن ، لان النساء جبلن على الرقة والضعف ، فيجدن في أنفسهن حاجة الى رجل يقوم بحمايتهن وحماية أولادهن – الذين يؤثرنهم على أنفسهن – فهن مسوقات فطريا نحو تحبيب أنفسهن للاخرين وعدم جلب نفرتهم وتجنب جفائهم واستثقالهم .

ثم ، أن ما يقرب من سبعة أعشار النساء : اما متقدمات في العمر ، أو دميمات لا يرغبن في اظهار شيبهن أو دمامتهن ، أو أنهن يحملن غيرة شديدة في ذواتهن يخشين أن تفضل عليهن ذوات الحسن والجمال ، أو أنهن يتوجسن خيفة من التجاوز عليهن

=

ويحتكم اليه ثلاث مائة وخمسون مليونا من المسلمين في كل عصر في حياتهم الاجتماعية ، خلال الف وثلاث مائة وخمسين عاما . هذا المفسر استند في تفسيره الى ما إتفق عليه وصدق به ثلاث مائة وخمسون مفسرا ، واقتدى بالعقائد التى دان بها اجدادنا السابقون في الف وثلاث مائة وخمسين سنة .. أقول : ان ادانة هذا المفسر ، قرار ظالم ، لابد أن ترفضه العدالة ، ان كانت هناك عدالة على وجه الارض ، ولابد أن ترد ذلك الحكم الصادر بحقه وتنقضه » (النورسي) .

وتعرضهن للتهم ‥ فهؤلاء النساء يرغبن فطرة في التحفظ والتستر حذرا من التعرض والتجاوز عليهن وتجنبا من أن يكن موضع تهمة في نظر ازواجهن ، بل نجد أن المسنات أحرص على التستر من غيرهن ·

وربما لا يتجاوز الاثنتين أو الثلاث من كل عشر من النساء هن : شابات وحسناوات لا يتضايقن من ابداء مفاتنهن ! اذ من المعلوم أن الانسان يتضايق من نظرات من لا يحبه · وحتى لو فرضنا أن حسناء جميلة ترغب في أن يراها اثنان أو ثلاثة من غير المحارم فهي حتما تستثقل وتنزعج من نظرات سبعة أو ثمانية منهم ، بل تنفر منها · فالمرأة لكونها رقيقة الطبع سريعة التأثر تنفر حتما ـ ما لم تفسد أخلاقها ـ من نظرات خبيثة تصوب اليها والتي لها تأثير مادي كالسم ـ كما هو مجرب ـ حتى اننا نسمع : أن كثيرا من نساء أوربا ـ وهي موطن التكشف والتبرج ـ يشكين الى الشرطة من ملاحقة النظرات اليهن قائلات : ان هؤلاء السفلة يزجوننا في سجن نظراتهم !

نخلص مما تقدم :

ان رفع المدنية السفيهة الحجاب وافساحها المجال للتبرج انما هو أمر يناقض الفطرة الانسانية · وان أمر القرآن الكريم بالاحتشام والحجاب ـ فضلا عن كونه فطريا ـ يصون النساء من المهانة والسقوط ، ومن الذلة والاسر المعنوي ومن الرذيلة والسفالة ، وهن

معدن الرأفة والشفقة والرفيقات الامينات لأزواجهن في المستقبل •

والنساء ـ فضلا عما ذكرناه ـ يحملن في فطرتهن تخوفا من الرجال الاجانب وهذا التخوف يقتضي فطرة التحفظ وعدم التكشف ، اذ ربما تتنغص لذة غير مشروعة لتسع دقائق بتحمل أذى حمل جنين لتسعة أشهر ، ومن بعده القيام بتربية ولد لا حام له زهاء تسع سنين ! ولوقوع مثل هذه الاحتمالات بكثرة تتخوف النساء فطرة خوفا حقيقيا من غير المحارم « الاجانب » • وتتجنبهم جبلة ، فتنبهها خلقتها الضعيفة ـ تنبيها جادا ـ الى التحفظ وتدفعها الى التستر ، ليحول دون اثارة شهوة غير المحارم ، وليمنع التجاوز عليها ، وتدلها ـ فطرتها ـ على أن حجابها هو قلعتها الحصينة وخندقها الامين •

ولقد طرق سمعنا : أن صباغ أحذية قد تعرض لزوجة رجل ذي منصب دنيوي كبير ، كانت مكشوفة المفاتن ، وراودها نهارا جهارا في قلب العاصمة « أنقرة » ! أليس هذا الفعل الشنيع صفعة قوية على وجوه أولئك الذين لا يعرفون معنى الحياء من أعداء العفة والفضيلة ؟

الحكمة الثانية :

أن العلاقة الوثيقة والحب العميق بين الرجل والمرأة ليسا ناشئين عما تتطلبه الحياة الدنيا من حاجات فطرية فحسب ، فالمرأة ليست صاحبة زوجها في حياة دنيوية وحدها ، بل هي رفيقته أيضا في حياة أبدية خالدة •

فما دامت هي صاحبته في حياة باقية فينبغي لها ألا تلفت نظر غير رفيقها الابدي وصديقها الخالد الى مفاتنها ، وألا تزعجه ، ولا تحمله على الغضب والغيرة ٠

وحيث أن زوجها المؤمن ـ بحكم ايمانه ـ لا يحصر محبته لها في حياة دنيوية فقط ولا يوليها محبة حيوانية قاصرة على وقت جمالها وزمن حسنها ، وانما يكن لها حبا واحتراما خالصين دائمين حتى وقت شيخوختها وزوال حسنها ، بل يدومان الى حياة أبدية خالدة ٠٠ فازاء هذا لابد للمرأة أيضا أن تخص زوجها وحده بجمالها ومفاتنها وتقصر محبتها به ، كما هو مقتضى الانسانية ، والا ستفقد الكثير ولا تكسب الا القليل ٠

ثم أن ما هو مطلوب شرعا : أن يكون الزوج كفوءا للمرأة ، وهذا يعني ملاءمة الواحد للآخر ومماثلتهما ، وأهم ما في الكفاءة هذه هي كفاءة الدين ، كما هو معلوم ٠

فما أسعد ذلك الزوج الذي يلاحظ تدين زوجته ويقوم بتقليدها ، ويصبح ذا دين ، فلا يفقد صاحبته الوفية في حياة أبدية خالدة ٠

وكم هي محظوظة تلك المرأة التي تلاحظ تدين زوجها وتخشى أن تفرط برفيق حياتها الامين في حياة خالدة ، فتتمسك بالايمان والتقوى ٠

والويل ثم الويل لذلك الرجل الذي ينغمس في سفاهة تفقده زوجته الطيبة الصالحة ٠

ويا لتعاسة تلك المرأة التي لا تقلد زوجها التقي الورع ، فتخسر رفيقها الكريم الابدي السعيد •

والويل والثبور لذينك الزوجين الشقيين اللذين يقلدان بعضهما البعض الآخر في الفسوق والفحشاء ، فيتسابقان في دفع أحدهما الآخر في النار •

الحكمة الثالثة :

ان سعادة العائلة في الحياة واستمرارها انما هي بدوام الثقة المتبادلة بين الزوجين ، واستمرار الاحترام اللائق والود الصادق بينهما ، الا أن التبرج والتكشف يخل بتلك الثقة ويفسد ذلك الاحترام والمحبة المتبادلة •

ففي محيط متكشف ـ مثل هذا ـ تلاقي تسعة من عشرة متبرجات أمامهن رجالا يفوقون أزواجهن جمالا ، بينما لا ترى ـ غير واحدة ـ منهن من هو أقل جمالا من زوجها • والامر كذلك في الرجال فلا يرى الا واحد من كلٍ عشرين منهم من هي أقل جمالا من زوجته ، بينما الباقون يرون أمامهم من يفقن زوجاتهن حسنا وجمالا • فهذا المحيط المتكشف المتبرج قد يؤدي الى انبعاث احساس دنيء وشعور سافل قبيح في النفس فضلا عما يسببه من زوال ذلك الحب الخالص وفقدان ذلك الاحترام ، وذلك :

ان الانسان لا يمكنه أن يحمل ـ فطرة ـ شعورا دنيئا حيوانيا تجاه المحارم اللائي ينظر اليهن نظرته لأخته ، لأن سيماء المحارم

تشعر بالرأفة والمحبة النابعين من صلة القربى • فهـــذا الشعور النبيل يحد من ميول النفس الشهوية ، الا أن كشف ما لا يجـــوز كشفه ، قد يثير لدى النفوس الدنيئة حساً سافلا خبيثا ـ لزوال الشعور بالحرمة ـ حيث أن ملامح المحارم تميز بعلامات فارقـة عن غيرهم ، لذا فكشف تلك المواضع من الجسد يتساوى فيه المحرم وغيره ، لعدم وجود تلك العلامات الفارقة التي تستوجب الامتنـاع عن النظر المحرم ، ولربما يهيج لدى بعض المحارم السافلين هوى النظرة الحيوانية ! فمثل هذه النظرة سقوط مريـــع للانسانيـة تقشعر من بشاعتها الجلود •

الحكمة الرابعـة :

من المعلوم أن كثرة النسل مرغوبة فيها دائما ، فليس هنـاك أمة ولا دولة لا تدعو الى كثرة النسل ، وقد قال الرســول الـكريم صلى الله عليه وسلم : تناكحوا تكثروا فاني أباهي بـكم الامم يوم القيامة(١) • بيد أن رفع الحجاب وافساح المجال أمـــام التبرج والتكشف يحد من الزواج ، بل يقلل من التكاثر كثيرا ، لأن الشاب مهما بلغ فسوقه فانه يرغب في أن تكون صاحبته في الحياة مصونة عفيفة ، ولا يريدها أن تكون مبتذلة متكشفة مثله ، لذا تجده يفضل العزوبة على الزواج ان لم يجد ما يبغيه • وربما ينساق الى الفساد•

---

(١) مضى تخريجه في ص ٢٦ •

أما المرأة فهي ليست كالرجل حيث لا تتمكن أن تحـــدد اختيــار زوجهــا ·

والمــرأة ـ من حيــث كونهــا مدبرة لشــؤون البيت ، ومامورة بالحفاظ على أولاد زوجها وأمواله وكل ما يخصه ـ فهي تتصف بأعظم خصلة هي : الامانة والثقة · الا أن تبرجها وتكشفها يفســد هذه الامانة ويزعزع ثقة الزوج بها ، فتجرع الزوج آلاما معنــوية وعــذابا وجــدانيا ·

حتى أن الشجاعة والسخاء وهما خصلتان محمودتان لــدى الرجال اذا ما وجدتا في النساء عدتا من الاخلاق المذمومة ، لاخلالهما بتلك الامانة والثقة ، اذ تفضيان الى الوقاحة والاســراف · وحيث أن وظيفة الزوج غير قاصرة على الائتمان على أموالها ، بل تشــمل حمايتها والرحمة بها والاحترام لها فلا يلزمه ما يلزم الزوجة ولا يقيد اختياره للزوجة ، ويمكنه أن ينكح غيرها من النساء ·

ان بلادنا لا تقاس ببلدان أوربا ، فهناك وسائل صارمـــة للحفاظ ـ الى حـــد مــا ـ على الشرف والعفاف في وسط متبرج متكشف ، منها المبارزة وأمثالها ، فالذي ينظر بخبث الى زوجة أحـد الشرفاء عليه أن يعلق كفنه في عنقه مقدما · هذا فضلا عن أن طبائع الاوربيين باردة جامدة كمناخهم · أما هنا في بلاد العالم الاسلامي خاصة فهي من البلدان الحارة قياسا الى أوربا · ومعلوم مــدى تأثير البيئة في أخلاق الانسان · ففي تلك الاصقاع الباردة ، ولدى

أناس باردين قد لا يؤدي التبرج الذي يثير الهوى الحيواني ويهيج الرغبات الشهوانية الى تعديات كثيرة وفساد كبير مثلما يؤدي الى الافراط والاسراف في المناطق الحارة وفي أناس حساسين يثارون بسرعة ٠

فالتبرج وعدم التستر الذي يثير هوى النفس ، ويطلق الشهوات من عقالها - في مثل هذه المناطق - يؤدي حتما الى الافراط وتجاوز الحدود والى ضعف النسل وانهيار القوى ٠ حيث أن الرجل الذي يمكنه أن يدفع حاجته الفطرية في شهر أو في عشرين يوما يظن نفسه مضطرا الى دفعها كل بضعة أيام ، وحيث أن هناك عوارض شرعية - كالحيض - تجنبه عن أهله وقد تطول خمسة عشر يوما ، تراه ينساق الى الفحش ان كان مغلوبا لنفسه ٠

ثم أن اهل المدن ينبغي لهم الا يقلدوا اهل القرى والارياف في حياتهم الاجتماعية ولا يرفعوا الحجاب فيما بينهم ،

لأن أهل القرى يشغلهم شاغل العيش وهم مضطرون الى صرف جهود بدنية قوية لكسب معيشتهم ، وكثيرا ما تشترك النساء في أشغال متعبة ، لذا لا يهيج ما قد ينكشف من أجزاء أجسامهن الخشنة شهوات حيوانية لدى الآخرين ، فضلا عن أنه لا يوجد في القرى سفهاء عاطلون بقدر ما هو موجود في المدن ٠ فلا تبلغ مفاسدها الى عشر ما في المدينة ، لهذا لا تقاس المدن على القرى والارياف ٠

المكتوب السابع

زوجناكها

باسمه سبحانه

﴿ وان من شيء الا يسبح بحمده ﴾

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ابدا ودائما ٠

اخوتي الاعزاء ٠

اولا : ان اهل الضلالة الحاليين ، يجدون في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بزينب موضع نقد واعتراض ، كما كان دأب المنافقين في سالف الزمان ٠ اذ يعدونه زواجا مبنيا على الشهوة ودوافع نفسانية !

الجواب :

حاش لله وكلا ! ألف ألف مرة كلا ! ان يد الشبهات السافلة احط من أن تبلغ طرفاً من ذلك المقام الرفيع السامي ٠

نعم ! ان من كان مالكا لذرة من الانصاف يعلم انه صلى الله

عليه وسلم من الخامسة عشرة الى الاربعين من عمره ـ تلك الفترة التي تغلي فيها الحرارة الغريزية وتلتهب الهوسات النفسانيـــة ـ قـــد التزم بالعصمة التامة والعفة الكاملة ، بشهادة الاعـــداء والاصدقاء ، واكتفى بزوجة واحدة شبه عجوز ، وهي خديجة الكبرى رضى الله عنها • فلابد ان كثرة زواج هذا الكريم العفيف بعـــــد الاربعين ـ اي في فترة توقف الحرارة الغريزية وسكون الهوسات ـ ليست نفسانية بالضرورة والبداهة ، وانما هي مبنية على حـــكم مهمة ، احداهـــا هي :

ان اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وافعاله واحـــواله واطواره وحركاته وسكناته ، هي منبع الدين ومصـــدر الاحـــكام والشريعـــة •

ولقد روى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هذه الاحـــكام وحملوا مهمة تبليغ ما ظهر لهم من حياته صلى الله عليـه وسلم • اما أسرار الدين واحكام الشريعة النابعة من احواله المخفية عنهـم ، في نطاق اموره الشخصية الخاصة به ، فان رواتها وحامليها هـــي زوجاته الطاهرات ، فقد ادين هذه المهمة على وجهها حق الأداء • بل ان نصف احكام الدين واسراره بكامله ياتي عن طريقهن •

نعم ! هذه الوظيفة الجليلة يلزم لها زوجات كثيرات ، وذوات مشارب مختلفة كذلك •

أما زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب ، فقد ذكر في الشعاع

الثالث من الشعلة الاولى من الكلمة الخامسة والعشرين(١) ، فيما يخص الآية الكريمة **(ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)** (الاحزاب : ٤٠) ، ان الآية الواحدة تفيد معاني عديدة ، بوجوه عديدة ، حسب فهم طبقات الناس ٠

فحصة طبقة من الناس من فهم هذه الآية الكريمة هي :

أن زيداً رضى الله عنه الذى كان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحظى بخطابه له : يا بني ! لم يجد نفسه كفواً لزوجته العزيزة النفس فطلقها لذلك ، كما وردت الروايات الصحيحة بذلك ، وبناء على اعترافه بنفسه ٠ اى أن زينب رضى الله عنها ، قد خلقت على مستوى آخر من الاخلاق العالية ، فشعر بها زيد بفراسته بأنها على فطرة سامية تليق ان تكون زوجة نبي ٠ حيث وجد نفسه غير كفوءة لها فطرة ، مما سبب عدم الامتزاج النفسي والانسجام الروحي بينهما ، فطلقها ، وتزوجها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأمر الهي ٠

فالآية الكريمة **(زوجناكها)** تدل باشارتها على ان ذلك النكاح قد عقد بعقد سماوي ، فهو عقد خارق للعادة ، وفوق العرف والمعاملات الظاهرية ، اذ هو عقد عقد بحكم القدر الالهي المحض ، حتى انقاد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لذلك الحكم مضطرا وما كان ذلك برغبة من نفسه ٠

---

(١) رسالة « المعجزات القرآنية » ٠

وهذا الحكم القدري يتضمن حكما شرعيا مهما وحكمة عامة ومصلحة شاملة ٠

فباشارة الآية الكريمة (**لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم**) ٠ (الاحزاب : ٣٧)

فان خطاب الكبار للصغار بـ : يابني ! لا يغير الاحكام ، اذ ليس هو كقول المظاهر لزوجته ـ اى قوله أنت كأمي ـ فتحرم عليه٠

وكذا فان الانبياء والكبار لدى خطابهم لأمتهم ولرعاياهم ، ولدى نظرهم اليهم ، انما هو باعتبار مهمة الرسالة وليست باعتبار الشخصية الانسانية حتى يحرم الزواج منهم ٠

وطبقة ثانية من الناس يفهمون هكذا :

ان سيداً عظيماً وآمرا حاكماً ينظر الى رعاياه نظر الابوة ٠ أي يشفق عليهم شفقة الوالد فان كان ذلك الآمر سلطاناً روحانياً ، ظاهراً وباطناً ، فرحمته تزداد حينئذ عن شفقة الاب أضعافاً مضاعفة ٠ والافراد بدورهم ينظرون اليه ، نظر الوالد ، كأنهم أولاد حقيقيين له ، وحيث أن نظر الابوة من الصعوبة انقلابه الى نظر الزوج ، ونظر البنت ايضاً لايتحول بسهولة الى نظر الزوجة ، فلذلك وجد العامة حرجاً في تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ببنات المؤمنين ، والقرآن الكريم يصحح مفاهيمهم قائلا :

ان النبي يشفق عليكم ويعاملكم معاملة الاب ، وينظر اليكم نظر الرحمة الالهية ، فانتم كالابناء بالنسبة للرسالة التي يحملها ،

ولكن ليس هو اباكم باعتبار الشخصية الانسانية ، لكي يقع الحرج في الأمر ، أمر الزواج • وحتى لو خاطبكم بيا أبنائي وأولادي فانتم لستم أولاده وفق الاحكام الشرعية ، فلا تكونون اولاده فعلا •

الباقي هو البـاقي

سـعيد النورسي

دفـــع شـــبهة

سـؤال :

ان قسماً من الاجانب يوردون شبهـــات حــول مســائل في الشريعة ، كتعدد الزوجات والرق ، كأنها لاتساير المدنية ، فيثيرون الأوهام والشبهات حول الشريعة .

الجواب :

سأقول لكم قاعدة بصورة مجملة ، لأنني على نيـة اصـــدار تفاصيلها في رسالة مستقلة .

ان أحكام الاسلام على قسمين :

الأول :

وهو الذي يؤسس عليه الشريعة ، وهو الحســـن الحقيـقي والخير المحــض .

الثــاني :

الشريعة المعدلة ، أي تأتي الشريعة وتخرج الشيء من صورته البشعة الظالمة الى صورة ملائمة للزمان والمحيط ، قابلة للتطبيـق

حسب الطبيعة البشرية ، اخذاً بالصورة المعدلة ، واختيارا لأهون الشرين وأخف الضررين ، حتى يتيسر الوصول الى الحسن الحقيقي تماماً • لأن رفع أمر متأصل في الطبيعة البشرية رفعاً آنيا (فوريا) يقتضي قلب الطبيعة البشرية رأساً على عقب !

وعلى هذا فالشريعة ليست هي التي أوجدت الرق • بل هـي التي أوجدت السبل ، ومهدت الطرق لتحويل الرق من أقسى صوره الى مايبسر الوصول الى الحرية التامة والانتقال اليها • أي عدلـت تلك الصورة البشعة وقللت منها •

ثم ان تعدد الزوجات الى حد الأربع زوجات ، مع انها موافقـة لطبيعة الانسان والعقل والحكمة ، فان الشريعـة لم تجعلهـا مـن الواحدة الى الاربعة ، بل نزلتها ونقصتها من الزوجـات الثمانيـة والتسعة الى الأربعة • ولاسيما قد وضعت شرائط في التعدد بحيث لا تؤدى مراعاتها الى ضرر ما ، وحتى لو حصـل في بعض النقـاط شر ، فهو شر أهون ، وأهون الشر عدالة اضـافية (نسبيـة) • اذ الخير المحض لايمكن ان يحصـل في جميـع أحـوال العـالم • هيهات ! ! •

من رسالة « المناظرات »

(المبحث الثاني من الموقف الثالث من الكلمة الثانية والثلاثين)

سر شقاء الضال وسعادة المؤمن

ان ممثل أهل الضلالة والداعية لها ، اذ لم يجد ما يبني عليه ضلالته ، وعندما تفوته البينة وتلزمه الحجة يقول :

اني أرى ان سعادة الدنيا ، والتمتع بلـذة الحيـاة ، والرقي والحضارة ، والتقدم الصناعي هي : في عدم تذكر الآخرة ، وفي عـدم الايمان بالله ، وفي حب الدنيا ، وفي التحرر من القيود ، وفي الاعتداد بالنفس والاعجاب بها ·· لذا سقت أكثر الناس ولازلت أسوقهـم ـ بهمة الشيطان ـ الى هذا الطريق ·

الجواب :

ونحن بدورنا نقول باسم القرآن الكريم :

أيها الانسان البائس ! عد الى رشدك ! لاتصغ الى داعية أهـل الضلالة · ولئن ألقيت السمع اليه ليكونن خسرانك من الفداحـة ما يقشعر من هول تصوره الروح والعقل والقلب · فامامك طريقان :

الأول :

هو طريق ذو شقاء يريك اياه داعية الضلالة ·

الثـاني :

هو الطريق ذو السعادة الذي يبينه لك القرآن الحكيم ·

ولقد رأيت كثيراً من الموازنات بين ذينك الطريقين في كثير من « الكلمات » ولاسيما في « الكلمات الصغيرة » ، والآن انسجاماً مع البحث تأمل في واحدة من ألف من المقارنات والموازنات وتدبرها، وهي :

ان طريـق الشرك والضلالـة والسفاهـة والفسـوق يهـوي بالانسان الى منتهى السقوط والى أسفل سافلين ، ويلقي على كاهله الضعيف العاجز ـ في غمرة آلام غير محدودة ـ عبئاً ثقيلا لا نهـاية لثقـله ·

ذلك لأن الانسان ان لم يعرف الله سبحانه وتعالى ، وان لـم يتوكل عليه، يكون بمثابة حيوان فان، يتألم دوماً ويحزن باستمرار، ويتقلب في عجز وضعف لانهاية لهما ، ويتلوى في حاجة وفقر لانهاية لهما · ويتعرض لمصائب لاحد لها ، ويتجرع آلام الفراق مـن التي استهواها ونسج بينه وبينها خيوط العلاقـات ، فيقـاسي وما زال يقاسي ، حتى يغادر ما بقي من أحبائه نهاية المطاف ويفارقهم جزعاً وحيداً غريباً الى ظلمات القبر ·

وسيجد نفسه طوال حياته أمام آلام وآمال لانهاية لهما ، مـع

أنه لايملك سوى ارادة جزئية ، وقدرة محدودة ، وحياة قصيرة ، وعمر زائل ، وفكر آفل ·· فتذهب جهوده في تطمينها سدى ، ويسعى هباء وراء رغباته التي لاتحد · وهكذا تمضي حياته دون ان يجني ثمراً ·

وبينما تجده عاجزاً عن حمل أعباء نفسه ، تراه يحمل عاتقه وهامته المسكينة أعباء الدنيا الضخمة ، فيتعذب بعذاب محرق أليم قبل الوصول الى عذاب الجحيم ·

ان أهل الضلالة لايشعرون بهذا الألم المرير والعذاب الروحي الرهيب اذ يلقون أنفسهم في أحضان الغفلة ليبطلوا شعورهم ويخدروا احساسهم ــ مؤقتاً ــ بسكرها ·· ولكن ما أن يدنو أحدهم من شفير القبر حتى يرهف احساسه ويضاعف شعوره بهذه الآلام دفعة واحدة ، ذلك لأنه ان لم يكن عبداً خالصاً لله تعالى فسيظن أنه مالك نفسه ، مع أنه عاجز بارادته الجزئية وقدرته الضئيلة حتى عن ادارة كيانه وحده أمام أحوال هذه الدنيا العاصفة اذ يرى عالماً من الاعداء يحيط به ــ ابتداء من أدق الميكروبات وانتهاء بالزلازل المدمرة ــ وهو على أتم استعداد للانقضاض عليه والاجهاز على حياته ، فترتعد فرائصه ويرتجف قلبه رعباً وهلعاً كلما تخيل القبر ونظر اليه ·

وبينما يقاسي هذا الانسان مايقاسي من وضعه اذا بأحوال الدنيا التي يتعلق بها ترهقه دوماً ، واذا بأوضاع بني الانسان الذي

يرتبط بهم تنهكه باستمرار ، ذلك لظنه : أن هذه الاحداث والوقائع ناشئة من لعب الطبيعة وعبث المصادفة ، وليست من تصرف واحد أحد حكيم عليم ، ولا من تقدير قادر رحيم كريم ، فيعاني مع آلامه هو آلام الناس كذلك ، فتصبح الزلازل والطاعون والطوفان والقحط والغلاء والفناء والزوال وما شابهها مصائب قاتمة وبلايا مزعجة معذبة !

فهذا الانسان الذي قد اختار بنفسه هذا الوضع المفجع ، لايثير اشفاقاً عليه ، ولا رثاء على حاله ·· مثله في هذا كمثل الذي ذكر في الموازنة بين الشقيقين في « الكلمة الثامنة » من أن رجلا لم يقنع بلذة بريئة ونشوة نزيهة وتسلية حلوة ونزهة شريفة مشروعة ، بين أحبة لطفاء في روضة فيحاء وسط ضيافة كريمة ، فراح يتعاطى الخمر النجسة ليكسب لذة غير مشروعة ، فسكر حتى بدأ يخيل اليه أنه في مكان قذر ، وبين ضوار مفترسة ، تصيبه الرعشة كأنه في شتاء ، وبدأ يستصرخ ويستنجد لم يشفق عليه احد ، لأنه تصور أصدقاءه الطيبين حيوانات شرسة ، وبدأ بتحقيرهم واهانتهم ·· وتوهم الاطعمة اللذيذة والاواني النظيفة التي في صالة الضيافة أحجاراً ملوثة ، فباشر بتحطيمها ·· وظن الكتب القيمة والرسائل النفيسة في المجلس نقوشاً عادية وزخارف لامعنى لها ، وشرع بتمزيقها ورميها تحت الاقدام ·· وهكذا ·

فكما لايكون هذا الشخص ـ وأمثاله ـ أهلا للرحمة

ولا يستحق الرأفة ، بل يستوجب التأديب والتأنيب ، كذلك الحال مع من يتوهم بسكر الكفر وجنون الضلالة الناشئين من سوء اختياره : أن الدنيا التي هي مضيف الصانع الحكيم لعبة المصادفة العمياء ، والعوبة الطبيعة الصماء ·· ويتصور تجديد المصنوعات لتجليات الاسماء الحسنى وعبورها الى عالم الغيب مع تيار الزمن ، بعد أن أنهت مهماتها واستنفدت أغراضها كأنها تصب في بحر العدم ووادي الانعدام وتغيب في شواطىء الفناء ·· ويتخيل أصوات التسبيح والتحميد التي تملأ الاكوان والعوالم أنيناً ونواحا يطلقه الزائلون الفانون في فراقهم الأبدي ·· ويحسب صحائف هذه الموجودات التي هي رسائل صمدانية رائعة خليطاً لامعنى له ولا مغزى ·· ويخال باب القبر الذي يفتح الطريق الى عالم الرحمة الفسيح نفقا يؤدي الى ظلمات العدم · ويتصور الأجل الذي هو دعوة الوصال واللقاء بالاحباب الحقيقيين هو أوان فراق الأحبة جميعهم!·

نعم ! ان الذي يعيش في دوامة هذه التصورات والاوهام يلقي نفسه في أتون عذاب دنيوي أليم ، ففضلا عن أنه لايكون أهلا لرحمة ولا لرأفة ، يكون مستحقاً لعذاب شديد ، لتحقيره الموجودات باتهامها بالعبثية ، وتزييفه الاسماء الحسنى بانكار تجلياتها الظاهرة على الموجودات · وانكار الرسائل الربانية برده شهاداتها على الوحدانية ·

فيا أيها الضالون السفهاء ، ويا أيها التعساء الاشقياء !

ترى هل يجدي أعظم علومكم ، وأعلى صروح حضارتكم وأرقى مراتب نبوغكم وأنفذ خطط دهائكم شيئاً أمام هذا السقوط المخيف المريع للانسان ؟ وهل يستطيع الصمود حيال هذا اليأس المدمر للروح البشرية التواقة الى السلوان ؟ وهل يقدر ما تطلقون من « طبيعة » لكم ، وما تسندون اليه الآثار الآلهية من « أسباب » عندكم ، وما تنسبون اليه الاحسانات الربانية من « شريك » لديكم، وما تتباهون به من « كشوفاتكم » وما تعتزون به من « قومكم » ، وما تعبدون من « معبودكم » الباطل ‥ هل يستطيع كل أولئك من انقاذكم من ظلمات « الموت » الذي هو اعدام أبدي لديكم ؟ وهل يستطيع كل أولئك من امراركم من حدود القبر بسلامة ، ومن تخوم البرزخ بأمان ، ومن ميدان الحشر باطمئنان ، ويتمكن أن يعينكم على عبور جسر الصراط بحكمة ، ويجعلكم أهلا للسعادة الأبدية والحياة الخالدة ؟ ·

انكم لا محالة ماضون في هذا الطريق ، اذ ليس بمقدوركم أن توصدوا باب القبر دون أحد · فأنتم مسافرو هذا الطريق لا مناص · ولابد لمن يمضي في هذا الطريق من أن يستند ويتكل على من له علم محيط شامل بكل دروبه وشعابه وحدوده الشاسعة ، بل تكون جميع تلك الدوائر العظيمة تحت تصرفه وضمن أمره وحكمه ·

فيا أيها الضالون الغافلون !

أن ما أودع في فطرتكم من استعداد المحبة والمعرفة ، ومن

وسائط الشكر ووسائل العبادة التي يلزم أن تبذل الى ذات الله تبارك وتعالى ، وينبغي أن تتوجه الى صفاته الجليلة وأسمـائه الحسنى ، قد بذلتموها ـ بذلا غير مشروع ـ لأنفسـكم وللدنيـا ، فتعـانون ـ مستحقين ـ عقابها ، وذلك بسر القاعدة : « ان نتيجة محبة غـير مشروعة مقاساة عذاب أليم بلا رحمة » . لأنـكم وهبتـم انفسـكم المحبة التي تخص الله سبحانه وتعالى ، فتعانون بلايا محبوبتكم التي لاتعد اذ لم تمنحوها راحتها الحقيقية .. وكـذا لاتسلمون أمرهـا بالتوكل الى المحبوب الحق وهو الله القدير المطلق ، فتقاسون الألـم دائماً ..وكذا فقد أعطيتم الدنيا المحبةالتي تعود الى أسماء الله الحسنى وصفاته الجليلة المقدسة ، ووزعتم آثار صنعته البديعة وقسمتموها بين الأسباب المادية ، فتذوقون وبال عملكم ، لأن قسماً من أحبائكم الكثيرين يغادرونكم مدبرين دون توديع ، ومنهم من لايعرفونـكم أصلا ، وحتى اذا عرفوكم لايحبونكم ، وحتى اذا أحبوكم لاينفعونكم، فتظلون في عذاب مقيم من أعذبة فراق لاحد له ومن آلام زوال يائس من العـودة .

فهذه هي حقيقة ما يدعيه أهل الضلالة ، وماهية مايدعون اليه من « سعادة الحياة » و « كمال الانسان » و « محاسن الحضـارة » و « لذة التحرر » ! !

الا ما أكثف حجاب السفاهة والسـكر الذي يخـدر الشعور والاحساس !

فقل : تباً لعقل أولئك الضالين ! ٠

أما الصراط المستقيم أو الجادة المنورة للقرآن الكريم : فانـه يداوي جميع تلك الجروح التي يعاني منها أهل الضلالة ، بالحقـائق الايمانية ، ويبدد كل تلك الظلمات السابقة في ذلك الطريق ، ويسد جميع أبواب الضلالة والهلاك ، بالآتي :

انه يداوي ضعف الانسان ، وعجـزه ، وفقـره ، واحتيـاجه بالتوكل على القدير الرحيم ، مسلماً أثقال الحيـاة وأعباء الوجـود الى قدرته سبحانه والى رحمته الواسعة دون أن يحملها على كاهـل الانسان ، بل يجعله مالكاً لزمام نفسه وحياته ، واجـداً له بذلـك مقاماً مريحا ، ويعرفه بأنه ليس بحيوان ناطق ، بل هو انسان بحق وضيف عزيز مكرم عند الملك الرحمن ٠

ويداوي أيضاً تلك الجروح الانسانية الناشئة مـن « فنـاء » الدنيا وزوال الاشياء ، ومن حب الفانيات ، يداويها بلطف وحنـان باظهاره الدنيا دار ضيافة الرحمن ومبيناً أن ما فيها من الموجودات هي مرايا الأسماء الحسنى ، وموضحاً أن مصنوعاتها رسائل ربانية تتجدد كل حين باذن ربها ، فينقذ الانسـان مـن قبضـة ظلمـات الاوهـام ٠

ويداوي أيضاً تلك الجروح التي يتركها « الموت » الذي يتلقاه أهل الضلالة فراقاً أبديا عن الأحبة جميعا ، ببيانه أن الموت : مقدمة الوصال واللقاء مع الأحباء الذين رحلوا الى عالم البرزخ والذين هـم

الآن في عالم البقاء ، ويثبت أن ذلك الفراق هو عين اللقاء .

ويزيل كذلك أعظم خوف للانسان باثباته أن القبر باب مفتوح الى عالم الرحمة الواسعة ، والى دار السعادة الأبدية ، والى ريـاض الجنان ، والى بلاد النور للرحمن الرحيم ، مبيناً أن سياحة البرزخ ـ التي هي أشد ألماً وأشقى سياحة عند أهل الضلالة ـ هي أمتـع سياحة وآنسها وأسرها اذ ليس القبر فم ثعبان مرعب ، بل هو باب الى روضة من ريـاض الجنـة .

ويقول للمؤمن :

ان كانت ارادتك واختيارك جزئية ، ففوض أمرك لارادة مولاك الكلية .. وان كان اقتدارك ضعيفاً فاعتمد على قدرة القادر المطلق.. وان كانت حياتك فانية وقصيرة ففكر بالحياة الباقية الأبدية .. وان كان عمرك قصيراً فلا تحزن فان لك عمرا مديدا .. وان كان فكرك خافتاً فادخل تحت نور شمس القرآن الكريم ، وانظر بنور الايمـان كي تمنحك كل آية من الآيات القرآنية نـوراً كالنجـوم المتلألئـة الساطعة بدلا من ضوء فكرك الباهت كضوء اليراعة .. وان كانـت لك آمال وآلام غير محدودة فان ثواباً لا نهاية له ورحمة لا حد لهـا ينتظرانك .. وان كانت لك غايات ومقاصد لا تحد ، فلا تقلق متفكراً بها فهي لاتحصر في هذه الدنيا، بل مواضعها ديار أخرى ، ومانحها جواد كريم واسع العطـاء .

ويخاطب الانسان أيضاً ويقول :

أيها الانسان ! أنت لست مالكاً لنفسك ٠٠ بل أنت مملـوك لقادر المطلق القدرة ، والرحيم المطلق الرحمة ، فلا ترهـق نفسـك بتحميلها مشقة حياتك ، فان الذي وهب الحياة هو الذي يديرها ٠

ثم أن الدنيا ليست سائبة دون مالك ، كي تقلق عليها وتكلف نفسك حمل أعبائها وترهق فكرك في أحوالهـا ٠ ذلـك لأن مالكهـا حكيم ومولاها عليم ، وأنت لست الا ضيفاً لديه ، فلا تتدخل بفضول في الامور ، ولا تخلطها من غير فهم ٠

ثم ان الانسان والحيوان ليسوا موجودات مهملة ، بل موظفون مأمورون تحت هيمنة حكيم رحيم وتحت اشرافه ٠ فلا تجرع روحك ألماً بالتفكر في مشاق أولئك وآلامهم ولا تقدم رأفتك عليهم بين يدي رحمـــة خالقهم الرحيم ٠

ثم أن زمام أولئك الذين اتخذوا طور العداء معك ابتداء مـــن الميكروبات الى الطاعون والطوفان والقحط والزلازل ، بل زمام كل شيء بيد ذلك الرحيم الكريم سبحانه ، فهو حكيم لا يصـــدر منـــه عبث ، وهو رحيم واسع الرحمة ، فكل ما يعمله فيـــه نوع مـــن اللطف والرأفـــة ٠

ويقول أيضـــا :

ان هذا العالم مع أنه فان ، فانه يهيىء لوازم العالم الابـدي ومع أنه زائل ومؤقت ، الا أنه يؤتي ثمرات باقية ، ويظهر تجليـات رائعة من تجليات الاسماء الحسنى الخالدة ٠٠ ومع ان لذائذه قليلة

وآلامه كثيرة ، الا أن لطائف الرحمن الرحيم وتكرمه وتفضله هـــي بذاتها لذات حقيقية لا تزول ، أما الآلام فهي تولد لذات معنـــوية من جهـة الثـواب الاخروي .

فما دامت الدائرة المشروعة كافية ليأخذ كل من الروح والقلب والنفس لذاتها ونشواتها جميعا ، فلا داعي اذن أن تلج في الدائرة غير المشروعة ، لأن لذة واحدة من هذه الدائرة قد يكون لها ألف الم وألم ، فضلا عن أنها سبب الحرمان من لذة تكريم الرحمن الكريم ، تلك اللذة الخالصة الزكية الدائمة الخالدة .

وهكذا تبين مما سبق بأن طريق الضلالة يردي الانسان الى أسفل سافلين ، الى حد تعجز أية مدنية كانت وأية فلسفة كـــانت عن ايجاد حل له ، بل يعجز الرقي البشري وما بلغه من مراتب العلم عن اخراجه مـــن تلك الظلمات السحيقة التي في الضلالة . بينمـا القرآن الكريم يأخذ بيد الانسان ـ بالايمان والعمل الصـــالح ـ ويرفعه من أسفل ســافلين الى أعلى عليين ، ويبــين لـه الدلائـل القاطعة ويبسط أمامه البراهين الدامغة على ذلك ، فيـــردم تلك الاغوار العميقة بمراتب رقي معنوي وبأجهزة تكامل روحي .. وكذا ييسر له ـ بسهولة مطلقة ـ رحلته الطويلة المضنية العـاصفة نحـو الابدية ، ويهونها عليه ، وذلك بابرازه الوسـائط والوسائل التي يمكن أن يقطع بها مسافة ألف سنة ، بل خمسين ألف سنة فـــي يوم واحـــــد .

وكذا يضفي على الانسان جلباب العبودية ويكسبه طور عبد مأمور ، وضيف موظف لدى الذات الجليلة ، وذلك بتعريفه أن الله سبحانه هو مالك الازل والابد ، فيضمن له راحة تامة في سياحته في الدنيا المضياف أو في منازل البرزخ في ديار الآخرة ٠٠ فكما أن الموظف المخلص للسلطان يتجول بيسر تام في دائرة مملكة سلطانه، ويتنقل من تخوم ولاياته بوسائط سريعة كالطائرة والباخرة والقطار ، كذلك الانسان المنتسب بالايمان الى المالك الازلي فانه يمر بالعمل الصالح من منازل الدنيا المضياف ومن دوائر عالمي البرزخ والحشر ومن حدودهما الواسعة الشاسعة بسرعة البرق والبراق حتى يجد السعادة الابدية ٠٠ فيثبت القرآن هذه الحقائق اثباتا قاطعا ويبرزها عيانا للاصفياء والاولياء ٠

ثم تستأنف حقيقته قائلة :

أيها المؤمن لا تبذل ما تملكه من قابلية غير محدودة للمحبة الى نفسك التي هي أمارة بالسوء وهي قبيحة ناقصة ، وشريرة مضرة لك ، ولا تتخذها محبوبتك ومعشوقتك ، ولا تجعل هواها معبودك ، بل اجعل محبوبك من هو أهل لمحبة غير متناهية ٠ ٠ ذلكم القادر على الاحسان اليك احسانا لا نهاية له ، والقادر على اسعادك سعادة لا منتهى لها ، بل يسعدك كذلك بما يجزل من احساناته على جميع من ترتبط معهم بعلاقات ، فهو الذي له الكمال المطلق والجمال المقدس والمنزه عن كل نقص وقصور وزوال وفناء ٠ فجماله لا حدود له وجميع أسمائه جميلة وحسنى ٠

نعم أن في كل اسم من أسمائه أنوار حسن وجمال لا نهـــاية لها ، فالجنة ـ بجميع لطائفها وجمالها ونعيمها ـ انما هي تجـــل لاظهار جمال رحمتـــه ورحمة جماله ، وجميع الحسن والجمـــال والمحاسن والكمالات المحبوبة والمحببة في الكون كله ما هي الا اشارة الى جماله ودلالة على كماله سبحانه ·

ويقول أيضا :

ايها الانسان ! ان ينابيع المحبة المتفجرة في أعماقك والمتوجهـة الى الله سبحانه والمتعلقة باسمائه الحسنى والمولهة بصفاته الجليلـة لا تجعلها مبتذلة بتشبثها بالموجودات الفانية ، ولا تهدرهـــا دون فائدة على المخلوقات الزائلة ، ذلك لأن الآثار والمخلوقات فانيتان ، بينما الاسماء الحسنى البادية تجلياتها وجمالها على تلك الآثار وعلى تلك المصنوعات باقية دائمة ··· ففي كل اسم من الاسماء الحسنى وفي كل صفة من الصفات المقدسة آلاف من مراتب الاحسان والجمال وآلاف من طبقات الـكمال ·

فانظر الى اسم « الرحمن » فحسب لترى : أن الجنة احـدى تجلياته ، والسعادة الابدية احدى لمعاته ، وجميع الارزاق والنعم المبثوثة في أرجاء الدنيا كافة احدى قطراته ·

فأنعم النظر وتدبر في الآيات الكريمة التي تشير الى هـــذه الموازنة بين ماهية أهل الضلالة وأهل الايمان من حيث الحياة ومن حيث الوظيفـــة ·

« **لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم. ثم رددناه اسفل سافلين. الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** » .

والآية الاخرى « **فما بكت عليهم السماء والارض** » اللتان تشيران الى عقبى كل منهما . تأمل فيهما لتجد مدى سموهما واعجازهما في بيان ما عقدناه من الموازنة والمقارنة .

أما الآية الأولى . فنحيل بيان حقيقة ما يتضمنه من اعجاز في ايجاز الى الكلمة «الحادية عشرة»(١) التي تبينها بيانا مفصلا . وأما الآية الثانية ، فسنشير ـ اشارة فحسب ـ الى مدى افادتها عن حقيقة سامية وهي كالآتي :

انها تخاطب قائلة : ان السموات والارض لا تبكيان على موت أهل الضلالة ، وتدل بالمفهوم المخالف : أن السموات والارض تبكيان على رحيل أهل الايمان عن الدنيا . أي : لما كان أهل الضلالة ينكرون وظائف السموات والارض ويتهمونها بالعبثية ولا يدركون معاني ما يؤديانه من مهام ، فيبخسون حقهما ، بل لا يعرفون خالقهما ولا دلالاتهما على صانعهما ، فيستهينون بهما ، ويتخذون منهما موقف العداء والاهانة واستخفاف ، فلابد الا تكتفي السموات والارض بعدم البكاء عليهم ، بل تدعوان عليهم بل ترتاحان لهلاكهم .

وتقول كذلك بالمفهوم المخالف : أن السموات والارض تبكيان

---

(١) نشرت ترجمتها كاملة في رسالة « انا » .

على موت أهل الايمان لأنهم يعرفون وظائفهما ، ويقدرونهما حق قدرهما ، ويصدقون حقائقهما الحقة، ويفهمون ـ بالايمان ـ ماتفيدان من معان ، حيث أنهم كلما تأملوا فيهما قالوا باعجاب : « ما أجمل خلقهما ! وما أحسن ما تؤديان من وظائف ! » . فيمنحونهما ما يستحقان من القيمة والاحترام ، حيث يبثون حبهم لهما بحبهم لله ، أي لأجل الله ، باعتبارهما مرايا عاكسة لتجليات أسمائه الحسنى . ولهذا تهتز السموات ، وتحزن الارض ، لموت أهل الايمان وكأنهما تبكيان على زوالهم .

سؤال مهم

(حول المحبة)

تقولون : ان المحبة ليست اختيارية ، لا تقع تحت ارادتنـا ، فانا ـ بمقتضى حاجتي الفطرية ـ احب الاطعمة اللذيذة والفواكـه الطيبة ، وأحب والدي وأولادي ، وزوجتي التي هي رفيقة حياتي ، وأحب الأنبياء المكرمين والأولياء الصالحين ، وأحب شبابي وحياتي واحب الربيع وكل شيء جميل ، وبعبارة أوجز : انا أحب الدنيـا ، وكيف لا احبها ؟.. ولـكن كيف استطيع ان اقدم جميع هـذه الانواع من المحبة لله ، واجعـل محبتي لأسمائه الحسنى ولصفاته الجليلة ولذاته المقدسة سبحانه ؟ ماذا يعني هذا ؟.

الجـواب :

عليك ان تستمع الى النكات الاربع الآتية :

● النكتة الاولى :

ان المحبة وان لم تكن اختيارية ، الا انها يمكن ان يحـول وجهها ـ بالارادة ـ من محبوب الى آخر ، كأن يظهر قبح المحبوب

وحقيقته مثلا ، أو يعرف انه حجاب وستار لمحبوب حقيقي يستحق المحبة ، أو مرآة عاكسة لجمال ذلك المحبوب الحقيقي ، فعندها يمكن ان يصرف وجه المحبة من المحبوب المجازى الى المحبوب الحقيقي .

● النكتة الثانية :

نحن لا نقول لك : لا تحمل وداً ولا حبا لكل ما ذكرته آنفا . وانما نقول : اجعل محبتك ـ لما ذكرته ـ في سبيل الله ولوجهه الكريم :

فالتلذذ بالاطعمة الشهية وتذوق الفواكه الطيبة مع التذكر بأنها احسان من الله سبحانه وانعام من الرحمن الرحيم ، يعني المحبة لاسم « الرحمن » واسم « المنعم » من الاسماء الحسنى ، علاوة على انه شكر معنوي . والذي يدلنا على ان هذه المحبة لم تكن للنفس والهوى بل لاسم « الرحمن » هو : كسب الرزق الحلال مع القناعة التامة ضمن الدائرة المشروعة ، وتناوله بالتفكر في انه نعمة من الله مع الشكر له .

ثم ان محبتك للوالدين واحترامهما ، انما يعودان الى محبتك لله سبحانه ، اذ هو الذي غرس فيهما الرحمة والشفقة حتى قاما برعايتك وتربيتك بكل رحمة وحكمة . وعلامة كونهما محبة لوجه الله تعالى ، هي : المبالغة في محبتهما واحترامهما عندما يبلغا الكبر ، ولا يبقى لك فيهما من مطمع . فتكثر من الشفقة عليهما والرحمة

لهما رغم ما يشغلانك بالمشاكل ويثقـلان كاهلك بالمشقة · فالآية الـكريمة :

اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهمـا اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما · واخفض لهما جناح الذل مـن الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (الاسراء : ٢٣ـ ٢٤) ·

تدعو الأولاد الى رعاية حقوق الوالدين في خمس مراتب ، وتبين مدى اهمية برهما وشناعة عقوقهما ··

وحيث ان الوالد لا يقبل ان يتقدمه احد سوى ابنه اذ لا يحمل في فطرته حسدا معه مما يسد على الولد طريق مطالبة حقـه مـن الوالد ، لأن الخصام اما ينشأ من الحسد والمنافسة بين اثنين او ينشأ من غمط الحق ، فالوالد سليم معافى منهما فطرة · لذا لا يحق للولد اقامة الدعوى على والده ، بل حتى لو رأى منه بغياً فليس له ان يعصيه ويعقه · بمعنى ان من يعق والديه ويؤذيهما ما هو الا انسان ممسوخ حيوانا مفترسا ·

أما محبة الاولاد فهي كذلك محبة لله تعالى وتعود اليه ، وذلك بالقيام برعايتهم بكمال الشفقة والرحمة بكونهم هبة مـن الرحيم الكريم · أما العلامة الدالة على كون تلك المحبة لله وفي سبيله فهي : الصبر مع الشكر عند البلاء ، ولاسيما عند الموت ، والترفـع عن اليأس والقنوط وهدر الدعاء بل يجب التسليم بالحمـد عنـد القضاء · كأن يقول : ان هذا المخلوق محبوب لدى الخـالق الكريم ،

ومملوك له ، وقد أمنني عليه لفترة من الزمن ، فالآن اقتضت حكمته سبحانه أن يأخذه مني الى مكان آمن وأفضل . فان تك لي حصة واحدة ظاهرية فيه ، فله سبحانه الف حصة حقيقية فيه . فلا مناص اذاً من التسليم بحكم الله .

أما محبة الاصدقاء وودهم ، فان كانوا من اصحاب الايمان والتقوى فان محبتهم هي في سبيل الله وتعود اليه سبحانه بمقتضى « الحب في الله » (١) .

ثم ان محبة الزوجة وهي رفيقة حياتك ، فعليك بمحبتها على انها هدية أنيسة لطيفة من هدايا الرحمة الالهية . واياك ان تربط محبتك لها برباط الجمال الظاهرى السريع الزوال ، بل اوثقها مع الجمال الذي لا يزول ويزداد تالقا يوما بعد يوم ، وهو جمال الاخلاق والسيرة الطيبة المنغرزة في انوثتها ورقتها . وان احلى ما فيها من جمال واسماه هو في شفقتها الخالصة النورانية . فجمال الشفقة هذا ، وحسن السيرة يدومان ويزدادان الى نهاية العمر . وبمحبتهما تصان حقوق هذه المخلوقة اللطيفة الضعيفة ، والا تفقد حقوقها في وقت هي احوج ما تكون اليها ، بزوال الجمال الظاهري .

أما محبة الأنبياء عليهم السلام والأولياء الصالحين فهي أيضاً

---

(١) « ... والحب في الله والبغض في الله من الايمان » رواه البخاري في كتاب الايمان .

لوجه الله وفي سبيله من حيث انهم عباد الله المخلصون المقبولون لديه جل وعلا • فمن هذه الزاوية تصبح تلك المحبة لله •

والحياة ايضا التي وهبها الله سبحانه وتعالى لك وللأنسان ، هي رأس مال عظيم تستطيع أن تكسب به الحياة الأخروية الباقية • وهي كنز عظيم يحوي اجهزة وكمالات خالدة •• من هنا فالمحافظة عليها ومحبتها من هذه الزاوية ، وتسخيرها في سبيل المولى عزوجل تعود الى الله سبحانه ايضا •

ثم ان محبة الشباب وجماله ولطافته ، وتقديره من حيث انه نعمة ربانية جميلة ، ثم العمل على حسن استخدامه ، هي محبة مشروعة ، بل مشكورة •

ثم محبة الربيع والشوق اليه تكون في سبيل الله ومتوجهة الى اسمائه الحسنى ، من حيث كونه اجمل صحيفة لظهور نقوش الاسماء الحسنى النورانية ، واعظم معرض لعرض دقائق الصنعة الربانية البديعة •• فالتفكر في الربيع من هذه الزاوية محبة متوجهة الى الاسماء الحسنى •

وحتى حب الدنيا والشغف بها ينقلب الى محبة لوجه الله تعالى فيما اذا كان النظر اليها من زواية كونها مزرعة الآخرة ، ومرآة الاسماء الحسنى ، ورسائل ربانية الى الوجود ، ودار ضيافة موقتة (وعلى شرط عدم تدخل النفس الامارة في تلك المحبة) •

ومجمل القول :

اجعل حبك للدنيا وما فيها من مخلوقات بالمعنى (الحرفي) وليس بالمعنى (الاسمي)(١) اي لمعنى ما فيها وليس لذاتها .

ولا تقل لشيء : « ما اجمل هذا » بل قل : « ما اجمله خلقاً» أو «ما اجمل خلقه» ! واياك ان تترك ثغرة يدخل منهـا حب لغير

---

(١) يوضح الاستاذ النورسي هذين المصطلحين بالمثال الآتي :
« اذا نظرت الى المرآة من حيث انها زجاجة ، فانت ترى مادتها الزجاجية ، وتكون الصورة المتمثلة فيها شيء ثانوي ، بينما ان كان القصد من النظر الى المرآة رؤية الصورة المتمثلة فيها ، فالصورة تتوضح امامك حتى تدفعك الى القول «فتبارك الله احسن الخالقين» بينما تبقى زجاج المرآة أمر ثانوي .
فالنظرة الاولى تمثل « المعنى الاسمي » اي : زجاجة المرآة معنى مقصود ، وصورة الشخص المتمثلة فيها « معنى حرفي » غير مقصود .
أما النظرة الثانية فصورة الشخص هي المقصودة ، فهي اذن معنى « اسمي » أما الزجاج فمعني حرفي .
وهكذا ورد في كتب النحو تعريف الاسم انه : دل على معنى في نفسه أما الحرف فهو الذي : دل على معنى غيره .
فالنظرة القرآنية الى الموجودات تجعل الموجودات جميعها حروفا ، اي انها تعبر عن معنى في غيرها ، بمعنى انها تعبر عن تجليات الاسماء الحسنى والصفات الجليلة للخالق العظيم المتجلية على الموجودات .
أما نظرة الفلسفة ــ المادية ــ الميتة فهي تنظر على الاغلب بالنظر الاسمي الى الموجودات ، فتزل قدمها الى مستنقع الطبيعة .

بارلا لاحقه‌سى ص ١٩٠ .

الله في باطن قلبك ، فان باطنه مرآة الصمد ، وخاص بـــه سبحانه وتعالى • وقل :

اللهم ارزقنا حبك وحب ما يقربنا اليك (١) •

وهكذا فان جميع ما ذكرناه من انواع المحبـــة ، ان وجهت الوجهة الصائبة على الصورة المذكورة آنفا ، اي عندما تكون لله وفي سبيله ، فانها تورث لذة حقيقية بلا الم ، وتكون وصالا حقـــا بلا زوال ، بل تزيد محبة الله سبحانه وتعالى ، فضلا عن انها محبـــة مشروعة وشكر لله في اللذة نفسها ، وفكر في آلائه في المحبة عينها •

مثال للتوضيح :

اذا اهـــدى اليك سلطان عظيم (٢) تفاحة ـ مثلا ـ فانك ستكن لها نوعين من المحبة ، وستلتذ بها بشكلين من اللذة :

الاولى :

المحبة التي تعود الى التفاحة ، من حيث انها فاكهة طيبة فيهـا

---

(١) وردت أحاديث كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم حول السؤال عن حب الله ، نذكر منها : عن عبدالله بن يزيد الخطمي الانصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كـان يقول في دعائه : « اللهم ارزقني حبك وحب مـــن ينفعني حبـــه عندك •••• » الحديث اخرجه الترمذي (٣٥٥٧ تحفة) • وقال : هذا حديث حسن غريب •

(٢) لقد وقعت هذه الحادثة فعلا فيما مضى ، عندما دخل رئيسـا عشيرتين الى سلطان عظيم ، وقاما بمثل ما ذكر اعلاه • (النورسي) •

لذة بقدر مافيها من خصائص ، هذه المحبة لاتعود الى السلطان · بل من يأكلها بشراهة امامه يبدي محبته للتفاحة وليس للسلطان ، وقد لايعجب السلطان ذلك التصرف منه ، وينفر من تلك المحبة الشديدة للنفس · علاوة على أن لذة التفاحة جزئية وهي في زوال · اذ بمجرد الانتهاء من اكلها تزول اللذة وتورث الاسف ·

اما المحبـة الثانية :

فهي للتكرمة السلطانيـة والتفـاتته اللطيفـة التي ظهـرت بالتفاحة ·· فكأن تلك التفاحة نموذج للتوجه السلطـاني ، أو هي ثناء مجسم منه · فالذي يتسلم هدية السلطان حباً وكرامة يبدي محبته للسلطان وليس للتفاحة · علماً ان في تلك التفـاحة ـ التي صارت مظهرا للتكرمة ـ لذة تفوق وتسمو على ألف تفاحة اخرى· فهذه اللذة هي الشكران بعينه ، وهذه المحبة هي محبة ذات احتـرام وتوقير يليق بالسلطان ·

وهكذا فاذا ما وجه الانسان محبته الى النعم والفواكه بالذات وتلذذ ـ عن غفلة ـ بلذاتها المادية وحدها ، فتلك محبة نفسانيـة تعود الى هوى النفس ، وتلك اللذات زائلة مؤلمـة · أمـا اذا كانت المحبة متوجهة الى جهة التكرمة الربانية ونحو ألطاف رحمته سبحانه وثمرات احسانه ، مقدراً درجات الاحسـان واللطـف ومتلـذذا بها بشهية كاملة ، فهي شكر معنوي ، وهي لذة لاتورث ألمـاً ·

لنكتـة الثالثـة :

ان المحبة المتوجهة الى الاسماء الحسنى لها طبقات : فقد تتوجه بالمحبة الى الاسماء الحسنى بمحبة الآثار الالهية المبثوثة في الكـون ـ كما بيناه سابقاً ـ وقد تتوجه بالمحبة الى الاسماء الحسنى لكونهـا عناوين كمالات الهية سامية ، وقـد يكـون الانسـان مشتاقـا الى الاسماء الحسنى لحاجته الماسة اليها ، وذلـك لجـامعية ماهيتـه وعمومها وحاجاته غير المحدودة ، أي يحب تلك الاسماء بدافع الحاجة اليهـا .

ولنوضح ذلك بمثـال :

تصور وانت تستشعر عجزك وحـاجتك الشديـدة الى مـن يساعدك ويعينك لانقاذ من تحن عليهم وتشفق على أوضاعهم مـن الاقارب والفقراء ، وحتى المخلوقات الضعيفة المحتاجة ، اذا بأحدهم يبرز في الميدان ، ويحسن لأولئك ويتفضل عليهم ويسبـغ عليهـم نعمه بما تريده وترغبه .. فكم تطيب نفسك وكم ترتاح الى اسمه « المنعم » و « الكريم » .. وكم تنبسط أساريرك وتنشرح من هذين الاسمين ، بل كم يأخذ ذلك الشخص من اعجابك وتقديرك ، وكـم تتوجه اليه بالحب بذينك الاسمين والعنوانين ! .

ففي ضوء هذا المثال تدبر في اسمين فقط من الاسماء الحسنى وهما : « الرحمن » و « الرحيم » تجد أن جميع المؤمنين من الآبـاء والاجداد السالفين وجميع الاحبة والاقارب والاصدقاء ، هؤلاء الذين

تحبهم وتحن اليهم وتشفق عليهم ، ينعمون في الدنيا بأنواع من النعم اللذيذة ، ثم يسعدون في الآخرة بما لذ وطاب من النعم ، بل يزيدهم سبحانه وهو الرحمن الرحيم سعادة ونعيماً بلقاء بعضهم بعضاً وبرؤية الجمال السرمدي هناك .. فكم يكون اسم « الرحمن » و « الرحيم » جديرين اذاً بالمحبة ؟ وكم تكون روح الانسان تواقة اليهما ؟ قس بنفسك ذلك لتدرك مدى صواب قولنا : الحمد لله على رحمانيته ورحيميته .

ثم انك تتعلق بالموجودات المبثوثة على الارض وتتألم بشقائها، حتى لكأن الارض برمتها مسكنك الجميل وبيتك المأنوس ، فاذا ما انعمت النظر تجد في روحك شوقاً عارماً وحاجة شديدة الى اسم « الحكيم » وعنوان « المربي » للذي ينظم هذه المخلوقات كافة بحكمة تامة وتنظيم دقيق وتدبير فائق وتربية رحيمة .

ثم اذا انعمت النظر في البشرية جمعاء تجدك تتعلق بهم وتتألم لحالهم البائسة وتتألم اشد الألم بزوالهم وموتهم ، واذا بروحك تشتاق الى اسم « الوارث ، الباعث » وتحتاج الى عنوان « الباقي ، الكريم ، المحيي ، المحسن » للخالق الكريم الذي ينقذهم من ظلمات العدم ويسكنهم في مسكن أجمل من الدنيا وأفضل منها .

وهكذا فلأن ماهية الانسان عالية وفطرته جامعة فهو محتاج بألف حاجة وحاجة الى ألف اسم واسم من الاسماء الحسنى والى كثير جداً من مراتب كل اسم . فالحاجة المضاعفة هي الشوق ، والشوق

المضاعف هو المحبة والمحبة المضاعفة كذلك هي العشق ، فحسب تكمل روح الانسان تنكشف مراتب المحبة وفق مراتب الاسماء ٠ ومحبة جميع الاسماء ايضاً تتحول الى محبة ذاته الجليلة سبحانه ، اذ ان تلك الاسماء تخصه سبحانه وتجلياته ٠

والآن سنبين من بين ألف اسم واسم من الاسماء الحسنى مرتبة واحدة فقط وعلى سبيل المثال من بين ألف مرتبة ومرتبة لاسم « العدل والحكم والحق والحكيم » ٠ كالآتي :

ان شئت ان تشاهد ما في نطاق الحكمة والعدل من اسم « الرحمن الرحيم ، الحق » ضمن دائرة واسعة عظمى فتأمل في هذا المثال :

جيش يضم اربعمائة طائفة متنوعة من الجنود ، كل منها تختلف عن الاخرى فيما يعجبها من ملابس ، وتتباين فيما تشتهيه من أطعمة ، وتتغاير فيما تستعمله بيسر من أسلحة ، وتتنوع فيما تتناوله من علاجات تناسبها ٠٠ فعلى الرغم من هذا التباين والاختلاف في كل شيء ، فان تلك الطوائف الاربعمائة لاتتميز الى فرق وأفواج ، بل يتشابك بعضها في بعض من دون تمييز ٠٠ فاذا ما وجد سلطان واحد يعطي لكل طائفة ما يليق بها من ملابس ، وما يلائمها من أرزاق ، وما يناسبها من علاج ، وما يوافقها من سلاح ، بلا نسيان لأحد ولا التباس ولا اختلاط ، ومن دون أن يكون له مساعد ومعين ، بل يوزعها كلها عليهم بذاته ، بما يتصف به من

رحمة ورأفة وقدرة وعلم معجز واحـاطة تـامة بالامـور كلها ، مـع عدالة فائقة وحكمة تامة٠٠ نعم ، اذا ما وجد سلطان كهذا الذي لانظير له ، وشاهدت بنفسك اعماله المعجزة الباهرة ، تدرك عندئذ مـدى قدرته ورأفته وعدله ٠ ذلك لأن تجهيز كتيبة واحـدة تضـم عشرة أقوام مختلفين باعتدة متباينة والبسة متنوعة أمر عسير جداً ، حتى يلجأ الى تجهيز الجيش بطراز معين ثابت من الالبسة والاعتدة مهمـا اختلفت الاجناس والاقوام ٠

فاذا شئت ـ في ضوء هذا المثال ـ أن تـرى تجلـي اسـم الله « الحق » و « الرحمن الرحيم » ضمن نطاق العدل والحكمة ، فسرح نظرك في الربيع الى تلك الخيـام المنصوبـة على بسـاط الأرض لأربعمائة الف من الامم المتنوعة ، الذين يمثلون جيـش النباتـات والحيوانات ، أنعم النظر فيها تجد ان جميع تلك الامم والطوائـف ، مع انها متداخلة ، وألبستهم مختلفة ، وأرزاقهم متفاوتة ، واسلحتهم متنوعة ، وطرق معيشتهم متباينة ، وتدريبهم وتعليماتهم متغـايرة ، وتسريحاتهم واجازاتهم متميزة ٠٠ وهم لايملكون ألسنة يطـالبون بها تامين حاجاتهم وتلبية رغباتهم ٠٠٠ مع كل هذا فان كلا منها تدار وتربى وتراعى باسم « الحق والرحمن والرزاق والرحيم والكريم » دون التباس ولا نسيان ضمن نطاق الحكمة والعدل بميزان دقيـق وانتظام فائق ٠٠ فشاهد هذا التجلي وتأمل فيه ، فهـل يمـكن أن يتدخل أحد غير الله سبحانه وتعالى في هذا العمل الذي يدار بمثـل

هذا النظام البديع والميزان الدقيق ؟ وهل يمكن لأي سبب مهما كان أن يمد يده ليتدخل في هذهالصنعةالباهرة والتدبير الحكيموالربوبية الرحيمة والادارة الشاملة غير الواحد الأحد الحكيم القدير على كل شيء ؟ ..

● النكتة الرابعـة :

تقول : انني احمل انواعاً متباينة من المحبة في نفسي ، تتعلـق بالاطعمة اللذيذة ، وبنفسي وزوجتي وبأولادي ووالدي وبأحبـابي وأصدقائي ، وبالأولياء الصالحين والأنبياء المكرمين ، بل يتعلـــق حبي بكل ما هو جميل ، وبالربيع الزاهي خاصة وبالدنيا عامة .. فلو سارت هذه الأنواع المختلفة من المحبة وفق ما يامر به القرآن الكريم ، فما تكون نتائجها وما فوائدها ؟ .

الجـواب :

ان بيان تلك النتائج وتوضيح تلك الفوائد كلهـا يحتـاج الى تأليف كتاب ضخم في هذا الشأن ، لذا سنشير هنا الى نتيجة واحدة او نتيجتين منها اشارة مجملة . وسنبين اولا النتائج التي تحصل في الدنيا ، ثم بعد ذلـك نبـين النتـائج التي ستظهـر في الآخـرة . وهي كالآتي :

لقد ذكرنا سابقاً : ان انواع المحبة التي لدى أرباب الغفـــلة والدنيا والتي لاتنبعث الا لتطمين رغبات النفس ، لها نتائج اليمـة وعواقب وخيمة من بلايا ومشقات مع ما فيها من نشوة ضئيلة وراحة قليـلة .

فمثلا : الشفقة تصبح بلاء مؤلماً بسبب العجز ، والحب يغدو حرقة مفجعة بسبب الفراق واللذة تكون شراباً مسموماً بسبب الزوال .. أما في الآخرة فستبقى دون جدوى ولانفع ، لأنها لم تكن في سبيل الله تعالى ، او تكون عذابا أليما ان ساقت الى الوقوع في الحرام .

سؤال :

كيف يظل حب الأنبياء الكرام والأولياء الصالحين دون نفع أو فائدة ؟

الجواب :

مثلما لاينتفع النصارى ـ المعتقدون بالتثليث ـ من حبهم لسيدنا عيسى عليه السلام ، وكذا الروافض من حبهم لسيدنا علي رضي الله عنه !

أما ما ذكرته من انواع المحبة فان كانت وفق ارشاد القرآن الكريم وفي سبيل الله سبحانه تعالى ومحبة الرحمن الرحيم ، فان نتائج جميلة تثمر في الدنيا ، فضلا عن نتائجها الطيبة الخالدة في الآخرة .

● **اما نتائجها في الدنيا :**

فان محبتك للاطعمة اللذيذة والفواكه الطيبة تجعلها نعمة الهية لايشوبها الم ، ولذة لطيفة في الشكر بعينه .

أما محبتك لنفسك أي من حيث اشفاقك عليها ، والجهد في تربيتها وتزكيتها ، ومنعها عن الاهواء الرذيلة ـ تجعلها منقادة اليك ، فلا تسيرك ولا تقيدك باهوائها بل تسوقها انت الى حيث الهدى دون الهوى ٠

أما محبتك لزوجتك وهي رفيقة حياتك ، فلأنها قد أسست على حسن سيرتها وطيب شفقتها ، وكونها هبة من الرحمة الالهية ، فستولها حباً خالصا ورأفة جادة ، وهي بدورها تبادلك هذه المحبة مع الاحترام والتوقير ، وهذه الحالة تزداد بينكما كلما تقدمتما في العمر ، فتقضيان حياة سعيدة هنيئة باذن الله ٠٠ ولكن لو كان ذلك الحب مبنيا على جمال الصورة الذي تهواه النفس ، فانه سرعان ما يخبو ويذبل ، وتفسد الحياة الزوجية ايضا ٠

أما محبتك للوالد والوالدة ، فهي عبادة تثاب عليها ما دامت في سبيل الله ، ولاشك انك ستزيد الحب والاحترام لهما عندما يبلغان الكبر ، وتكسب لذة روحية خالصة وراحة قلبية تامة لدى القيام بخدمتهما وتقبيل ايديهما وتبجيلهما باخلاص ، فتتوجه الى المولى القدير ، وانت تشعر هذا الشعور السامي والهمة الجادة ، بأن يطيل من عمرهما لتحصل على مزيد من الثواب ٠٠ ولكن لو كان ذلك الحب والاحترام لأجل كسب حطام الدنيا ونابعا من هوى النفس ، فانه يولد ألما روحيا قاتما ينبعث من شعور سافل منحط واحساس دنيء وضيع هو : النفور من ذينك الموقرين اللذين كانا

السبب لحياتك انت ، واستثقالهما وقد بلغا الكبر وباتا عبئاً عليك ، ثم الأدهى من ذلك تمنى موتهما وترقب زوالهما !

أما محبتك لأولادك ، أي حبك لمن استودعك الله اياهم أمانة ، لتقوم بتربيتهم ورعايتهم·· فحب أولئك المؤنسين المحبوبين من خلق الله ، انما هو حب مكلل بالسعادة والبهجة ، وهو نعمة الهية في الوقت نفسه ، فاذا شعرت بهذا فلا ينتبك الحزن على مصابهم ولاتصرخ متحسرا على وفاتهم · اذ ـ كما ذكرنا سابقا ـ ان خالقهم رحيم بهم حكيم في تدبير أمورهم ، وعند ذلك تقول : ان الموت بحق هؤلاء لهو سعادة لهم · فتنجو بهذا من ألم الفراق وتتفكر ان تستدر رحمته تعالى عليك ·

أما محبتك للأصدقاء والأقرباء ، فلانها لوجه الله تعالى ، فلا يحول فراقهم ولا موتهم عن دوام الصحبة لهم ، ودوام أخوتكم ومحبتكم وموانستكم ، اذ تدوم تلك الرابطة الروحية والحب المعنوي الخالص ، فتدوم بدورها لذة اللقاء ومتعة الوصال ·· ولكن ان لم يكن ذلك الحب لأجله تعالى ولا في سبيله ، فان لذة لقاء يوم واحد يورث آلام الفراق لمئة يوم (١) ·

أما محبتك للأنبياء عليهم السلام والأولياء الصالحين ، فان

---

(١) ان لقاء يدوم ثانية واحدة في سبيل الله تعالى تعد سنة من العمر ، بينما سنة من لقاء لأجل الدنيا الفانية لاتساوي ثانية·
(النورسي)·

عالم البرزخ الذي هو عالم مظلم موحش في نظر أرباب الضلالة والغفلة تراه منازل من نور تنورت باولئك المنورين ، وعندها لاتستوحش من اللحاق بهم ، ولا تجفل من عالم البرزخ ، بل تشتاق اليه ، وتحن اليه من دون أن يعكر ذلك تمتعك بالحياة الدنيا ·· ولكن لو كان حبهم شبيهاً بحب أرباب المدنية لمشاهير الانسانية ، فان مجرد التفكر في فناء أولئك الأولياء الكاملين ، وترمم عظامهم في مقبرة الماضي الكبرى ، يزيد ألماً على آلام الحياة ، ويدفع المرء الى تصور موته وزواله حيث يقول : سأدخل يوما هذه المقبرة التي ترمم عظام العظماء ! يقوله بكل مرارة وحسرة وقلق ·· بينما في المنظور الأول يراهم يقيمون براحة وهناء في عالم البرزخ الذي هو قاعة المستقبل ورواقه ، بعد ان تركوا ملابسهم الجسدية في الماضي ·· فينظر الى المقبرة نظرة شوق وأنس ·

ثم أن محبتك للأشياء الجميلة والامور الطيبة ، لما كانت محبة في سبيل الله ، وفي سبيل معرفة صانعها الجليل بحيث يجعلك تقول : ما أجمل خلقه ! · فان هذه المحبة في حد ذاتها تفكر ذو لذة ومتعة ، فضلا عن انها تفتح السبيل أمام أذواق حب الجمال والشوق الى الحسن لتتطلع الى مراتب أذواق أسمى وأرفع ، وتريه هناك كنوز تلك الخزائن النفيسة فيتملاها المرء في نشوة سامية عالية ، ذلك لان هذه المحبة تفتح آفاقاً أمام القلب ليحول نظره من آثار الصانع الجليل الى جمال أفعاله البديعة ، ومن جمال الافعال الى

جمال أسمائه الحسنى ، ومن جمال الاسماء الحسنى الى جمال صفاته الجليلة ، ومن جمال الصفات الجليلة الى جمال ذاته المقدسة .. فهذه المحبة وبهذا السبيل انما هي عبادة لذيذة وتفكر رفيع ممتع في الوقت نفسه .

أما محبتك للشباب ، فلأنك قد احببت عهد شبابك لكونه نعمة جميلة لله سبحانه ، فلاشك انك ستصرفه في عبادته تعالى ولا تقتله غرقاً في السفه وتمادياً في الغي ، اذ العبادات التي تكسبها في عهد الشباب انما هي ثمرات يانعة باقية خالدة أثمرها ذلك العهد الفاني ، فكلما جاوزت ذلك العهد وطعنت في السن حصلت على مزيد من ثمراته الباقية ، ونجوت تدريجياً من آفات النفس الأمارة بالسوء وسيئات طيش الشباب . فترجو من المولى القدير ان يوفقك الى كسب المزيد من العبادة في الشيخوخة ، لتكون أهلا لرحمته الواسعة . وتربأ بنفسك ان تكون مثل أولئك الغافلين الذين يقضون خمسين سنة من عمر شيخوختهم وشيبهم أسفاً وندماً على ما فقدوه من متاع الشباب في خمس أو عشر سنوات . حتى عبر أحد الشعراء عن ذلك الندم والأسف بقوله :

فيا ليت الشباب يعود يوماً
فاخبره بما فعل المشيب

أما محبتك للمناظر البهيجة ولاسيما مناظر الربيع ، فحيث انها مشاهدة لبدائع صنع الله واطلاع عليها ، فذهاب ذلك الربيع

لايزيل لذة المشاهدة ومتعة التفرج ، اذ يترك وراءه معانيه الجميلة ، حيث الربيع أشبه مايكون برسالة ربانية زاهية تفتح للمخلوقات. فخيالك والزمن شبيهان بالشريط السينمائي يديمان لك لذة المشاهدة هذه ، ويجددان دوماً تلك المعاني التي تحملها رسالة الربيع . فلا يكون حبك اذاً موقتاً ولا مغمورا بالأسف والأسى ، بل صافيا خالصا ، لذيذاً ممتعاً .

أما حبك للدنيا ، فلانه حب لله ولأجله سبحانه ، فان موجوداتها المثيرة للرعب والدهشة تصبح لك اصدقاء مؤنسين ، ولأنك تتوجه اليها بالحب من حيث كونها مزرعة الآخرة ، تستطيع ان تجني من كل شيء فيها ما يمكن ان يكون ثمرة من ثمار الآخرة ، أو تغنم منها ما يمكن أن يكون رأس مال للآخرة . فمصائبها اذاً لا تخيفك وزوالها وفناؤها لا يضايقك . وهكذا تقضي مدة اقامتك فيها ، وانت ضيف مكرم .. ولكن لو كان حبك لها كحب ارباب الغفلة ، فقد قلنا لك مرارا : « ستغرق نفسك وتفنى بحب ساحق ، خانق ، زائل ، لا طائل وراءه ولا نفع » !.

وهكذا فقد حاولنا ان نرى لطيفة واحدة من مئات اللطائف التي تعود لكل مما ذكرته ، عندما يكون حبك له وفق ارشاد القرآن الكريم ، واشرنا في الوقت نفسه الى واحد من مئات اضرار ذلك الحب ان لم يكن وفق ما يأمره القرآن الكريم .

● وبعد ؟

فان كنت تريد أن تدرك نتائج هذه الانواع المختلفة من المحبة

في دار البقاء وعالم الآخرة ، مثلمـــا اشارت اليهـــا الآيات البينات للقرآن الكريم ، فسنبين لك بيانا مجملا فائدة واحدة أخروية مــن فوائد تلك الأنواع المشروعة من المحبة ، وذلك في تسع اشـــارات ، بعد ان نقـــدم بين يديها مقدمـــة :

المقدمـــــة

ان الله سبحانه وتعالى ، بالوهيته الجليلة ، ورحمته الجميلة ، وربوبيته الكبيرة ، ورأفته الـــكريمة ، وقدرته العظيمة ، وحكمته اللطيفة ، قد زين هذا الانسان الصغير بحواس ومشاعر كثيـــرة جدا ، وجمله بجوارح واجهزة واعضاء مختلفـة عديـدة ، ليشـعره طبقات رحمته الواسعة ويذيقه انواع آلائه التي لا تعد ، ويعرفـــه اقسام احساناته التي لا تحصى ، ويطلعه عبر تلك الاجهزة والاعضاء الكثيرة على انواع تجلياته التى لا تحد لألف اسم واسم من اسمائه الحسنى ، ويحببها اليه ، ويجعله يحسن تقديرها حق قدرها ٠

فلكل عضو ـ من تلك الاعضاء الكثيرة ـ ولكل جهاز وآلـة منها وظائفها المتنوعة وعباداتها المتباينة كما ان لذائذها مختلفـــة وآلامها متغايرة وثوابها متميز ٠

فمثلا : العين ، تشاهد الجمال في الصور ، وترى معجـزات القدرة الالهية الجميلة في عالم الشهود ، فتؤدي وظيفتها بتقـــديم الشكر لله من خلال نظرتها ذات العبرة ٠ ولا يخفى علي أحد مـدى

ما فيها ـ اي الرؤية ـ من لذة وما يحصل من زوالها من ألم ، لذا لا داعي لتعريف لذة الرؤية وألم فقدانها ٠

ومثلا : الأذن ، تشعر بلطائف الرحمة الالهية السارية فـــي عـالم المسموعات ، بسماعها انواع الاصــوات ونغمـاتها اللطيفـــة المختلفة ٠ فلها عبادة خاصة بها ، ولذة تخصها ، وثواب يعود اليها٠

ومثلا : حاسة الشم التي تشعر بلطائف الرحمة الالهية الفواحة من شذى انواع العطور والروائح ، فان لها لذتها الخاصة به ضمن ادائها شكرها الخاص ، ولاشك ان لها ثوابا خاصا بها ٠

ومثلا : حاسة الذوق التي في الفم : فهي تؤدي وظيفتها وتقدم بشكرها المعنوي بانماط شتى من خلال ادراكهـــا مذاقات انواع الاطعمـــة ولذائذها ٠

وهكذا فلــكل جهاز من اجهزة الانسان ولكل حاسة وجارحة، ولكل لطيفة من لطائفه المهمة ـ كالقلب والروح والعقل وغيرها ـ وظائفها المختلفة ، لذائذها المتنوعة الخاصة بها ، فمما لاريب فيه ان الخالق الحكيم الذي سخر هذه الاجهزة لتلك الوظائف سيجزي كلا منهـا ما يلائمها ويستحقها من جزاء ٠

ان النتائج العاجلة للأنواع المتعـــددة من المحبة ـ المذكورة سابقا ـ يشعر بها كل انسان شعورا وجدانيا ، ويستـدل علـى شعوره هذا ويتيقن منه بحدس صادق ٠

أما نتائجها الأخروية فقد اثبتتها اثنتا عشرة حقيقة من الحقائق الساطعة لرسالة (الحشر) والاسس الستة الباهرة لرسالة (الملائكة) .

أما تفصيلها فهو ثابت قطعاً بالقرآن الكريم الذي هو أصدق كلام وابلغ نظام وهو كلام الله الملك العزيز العلام ، في تصريح آياته البينات وتلويحها وفي رموزها واشاراتها .. لذا لا نرى داعياً لايراد براهين مطولة في هذا الشأن ، علما اننا سردنا براهين كثيرة جدا في « كلمات » اخرى وفي المقام الثاني العربي من رسالة (الجنة) ـ وهي الكلمة الثامنة والعشرون ـ وفي رسالة الملائكة ـ الكلمة التاسعة والعشرون .

الاشـارة الاولى :

ان النتيجة الاخروية للمحبة المشروعة المكللة بالشكر لله ، نحو الاطعمة اللذيذة والفواكه الطيبة في الدنيا ، هي تلك الاطعمة والفواكه الطيبة اللائقة بالجنة الخالدة .. كما ينص عليه القرآن الكريم . هـذه المحبة ، محبة ذات اشتياق واشتهاء لتلك الجنة وفواكهها ، حتى ان الفاكهة التي تأكلها في الدنيا ، تذكر عليها « الحمد لله » تتجسم في الجنة فاكهة خاصة بها وتقدم اليك طيبة من طيبات الجنة . فأنت تأكل هنا فاكهة ، وهناك « الحمد لله » مجسمة في فاكهة من فواكه الجنة .. وحيث انك تقدم شكرا معنويا لذيذا برؤيتك الانعام الالهي والالتفات الرباني في الاطعمة

والفواكه التي تتناولها هنا ، فستسلم اليك هناك في الجنة اطعمة لذيذة وفواكه طيبة ، كما هو ثابت في الحديث الشريف وباشارات القرآن الكريم ، وبمقتضى الحكمة الالهية ورحمتها الواسعة •

الاشـارة الثانيـة :

ان نتيجة المحبة المشروعة نحو النفس ، اي محبتها المبنية ـ في الدنيا ـ على رؤية نقائصها دون محاسنها ، ومحاولة اكمالها ، وتزكيتها ورعايتها بالشفقة والرأفة ، ودفعها الى سبيل الخير هي : اعطاء البارىء عز وجل محبوبين يليقون بها وبالجنة ، فالنفس التي عافت ـ في الدنيا ـ هواها وشهواتها وتركت رغباتها في سبيل الله ، وأستعمل ما فيها من اجهزة متنوعة على افضل وجه وأتمه ، سيمنحها البارىء الكريم سبحانه ـ مكافأة على هذه المحبة المشروعة المكللة بالعبودية لله ـ الحور العين المترفلات بسبعين حلة من حلل الجنة المتنوعة بانواع لطائفها وزينتها ، والمتجملات بسبعين نوعا من انواع الحسن والجمال حتى كأنهن جنة مجسمة مصغرة تنبض بالروح والحياة ، لتقر بها عين النفس التي اطاعت الله وتهدأ بها المشاعر التي اطمأنت الى اوامر الله •• فهذه النتيجة لا ريب فيها، اذ الآيات الكريمة تصرح بها يقينا •

ثم ان نتيجة المحبة المتوجهة نحو الشباب في الدنيا ، اي صرف قوة الشباب ونضارته في العبادة والتقوى ، هي : شباب دائم خالد في دار البقاء والنعيم المقيم •

الاشـــارة الثالثة :

أما النتيجة الاخروية لمحبة الزوجة المؤسسة على حسن سيرتها وجميــل خصلتها ولطيف شفقتهــا ، والتي تصونها عن النشوز وتجنبها الخطايا والذنوب ، فهي :

جعل تلك الزوجة الصالحة محبوبة ومحبة وصديقة صدوقـــة وأنيسة مؤنسة ، في الجنة ، جمالها ابهى من الحور العين ، زينتهــا ازهى من زينتهن ، حسنها يفوق حسنهن ٠٠ تتجاذب مــع زوجهــا اطراف الحديث ، يستذكران احداث ايام خلت ٠٠ هكذا وعـــــد الرحيم الكريم ٠ فما دام قد وعد فسيفي بوعده حتماً ٠

الاشـــارة الرابعــة :

أما نتيجة محبة الوالدين والاولاد فهي :

ان الرحمن الرحيم جل وعلا يحسن الى تلك العائلة السـعيدة المحظوظة ـ رغم تفـــاوت مراتبهم في الجنة ـ لقاء بعضهم البعض والمعاشرة والمجالسة والمحادثة فيما بينهم بما يليق بالجنة ودار البقاء كما هو ثابت بنص القرآن الكريم ٠ وينعم على اولئك الآباء بملاطفة اولادهم الذين توفوا في دار الدنيا قبل سن البلوغ ، ويجعلهم لهم ولداناً مخلدين ، في ألطف وضع وأحبه الى نفوسهم ، وبهذا تطمئن رغبة مداعبة الاطفال المغروزة في فطرة الانسان ، فيستمتعون بمتعـة خالدة وذوق دائم في الجنة ، حيث خلد لهم اطفالهم الصغار ـ الذين لم يبلغوا سن التكليف ـ ولقد كان يظن أن ليس في الجنة مداعبـة

الاطفال ، لأنها ليست محلا للتوالد . ولكن الجنة لأنها تحوى افضل لذائذ الدنيا واجودها ، فملاطفة الاولاد ومداعبة الاطفال لابد أنها موجودة فيها بأفضل صورها واجمل اشكالها .. فيا بشرى أولئك الآباء الذين فقدوا اطفالهم في دار الدنيا !.

الاشارة الخامسة :

ان نتيجة محبتك لصالح الأصدقاء والأقرباء التي يتطلبها : « الحب في الله » انما هي : في جلوسكم على سرر متقابلين ومؤانستكم بلطائف الذكريات ، ذكريات ايام الدنيا وخواطرها الجميلة ، وقضاء وقت ممتع وجميل بهذه المحاورة والمجالسة . كما هو ثابت بنص القرآن الكريم .

الاشارة السادسة :

أما نتيجة محبة الأنبياء عليهم السلام والأولياء الصالحين ـ حسب ما يبينه القرآن الكريم ـ فهي : كسب شفاعة اولئك الأنبياء الكرام والأولياء الصالحين في عالم البرزخ ، وفي الحشر الأعظم فضلا عن الاستفاضة ـ بتلك المحبة ـ من فيوضات مقاماتهم الرفيعة ومراتبهم العالية اللائقة بهم .

نعم ، ان الحديث الشريف ينص على أن « المرء مع من أحب »(١) فالانسان اذاً يستطيع ان يرتفع الى أعلى مقام وارفعه بما نسج مع صاحبه من اواصر المحبة وبانتمائه اليه واتباعه له .

---

(١) رواه البخاري ـ كتاب الادب .

الاشـــارة السابعة :

ان محبتك للاشياء الجميلة وللربيع ، اي نظرك اليها من زاوية قولك : « ما اجمل خلقه ! » وتوجيه محبتك الى ما وراء ذلك الشيء الجميل من جمال الافعال وانتظامها ، والى ما وراء تلك الافعـــال المنسقة من جمال تجليات الاسماء الحسنى ، والى مـــا وراء تلك الاسماء الحسنى من تجليات الصفات الجليلة ·· وهـــكذا ·· ان نتيجة هذه المحبة المشروعة هي :

مشاهدة جمال اسمى من ذلك الجمال الذي شاهـــدته في المصنوعات بالوف الوف المرات · اي مشاهدة تجليات الاســـماء الحسنى وجمال الصفات الجليلة بما يليق بالجنة ودار البقـــاء · حتى قال الامام الرباني السرهندي رضي الله عنه : « ان لطائف الجنة انما هي تمثلات الاسماء الحسنى » فتأمل ! ·

الاشـــارة الثامنـة :

أما محبتك للدنيا محبة مشروعة ، أي محبتك لها مـع التأمل والتفكر في وجهيها الجميلين اللذين هما : مزرعـــة الآخرة ومرآة التجليات للأسماء الحسنى فان نتيجتها الاخروية هي أنه :

سيهب لك جنة تسع الدنيا كلها ، ولكنها لا تزول مثلهـــا ، بل هي خالدة دائمة · وستظهر لك في مرايا تلك الجنة تجليـــات الاسماء الحسنى بأزهى شعشعتها وبهائها ، تلك التي رأيت بعض ظلالها الضعيفة في الدنيـــا ·

ثم أن محبة الدنيا في وجهها الذي هو مزرعةللآخرة، أي باعتبار الدنيا مشتلا صغيرا جدا لاستنبات البذور لتتسنبل في الآخـــــرة وتثمر هناك ، فان نتيجتها هي :

أثمار جنة واسعة تسع الدنيا كلها ، تنكشف فيهـا جميـع الحواس والمشاعر الانسانية التي يحملها الانسان في الدنيا كبذيرات صغيرة انكشافا تاما كاملا ، وتتسنبل فيهـــا بذيرات الاستعدادات الفطرية حاملة جميع انواع اللذائذ والكمالات ٠٠ هــــذه النتيجـة ثابتة بمقتضى رحمة الله الواسعة وحكمته المطلقة ٠ وهي ثابتة كذلك بنص الحديث الشريف واشارات القرآن الكريم ٠

ولما كانت محبتك للدنيا ليست لذلك الوجه المذموم الذي هو رأس كل خطيئة ، وانما هي محبة متوجهة الى وجهيها الآخرين اي الى الأسماء الحسنى والآخرة ، وقد عقدت ـ لأجلهما ـ اواصـــر المحبة معها وعمرت ذينك الوجهين على نية العبادة ، حتى كأنك قمت بالعبادة بدنياك كلها ٠٠ فلابد ان الثواب الحاصل من هذه المحبـة يكون ثوابا اوسع من الدنيا كلها ، وهذا هو مقتضى الرحمة الالهيـة وحكمتها ٠

ثم لأن المحبة قد حصلت معها بمحبة الآخرة وكونها مزرعـــة لها ، وبمحبة الله سبحانه ، وكونها مرآة لاظهار اسمائه الحسنى٠٠ فلاشك ان تقابل هذه المحبة بمحبوب اوسع من الدنيا كلها ، ومـــا هو الا الجنة التي عرضها السموات والأرض ٠

سؤال : ما فائدة الجنة الواسعة سعة الدنيا ؟٠

الجواب : لو كان من الممكن ان تتجول بسرعة الخيال في اقطار الارض كلها ، وتزور اغلب النجوم التي في السماء ، لـكنت تقـول عندئذ : ان العالم كله لي ٠ فلا يزاحم حكمك هذا ولا ينافيه وجود الملائكة والناس الآخرين والحيوانات معك في هذا العالم الواسع ٠

وكذلك يمكنك ان تقول : ان تلك الجنة لي ، حتى لو كـانت مليئة بالقادمين اليهـا ٠

وقد بينا في رسالة (الجنة) ـ وهي الكلمة الثامنة والعشرون ـ معنى الحديث الوارد من انه يعطي لبعض اهل الجنة جنـة سعتها خمسمائة سنة ، وكذا بيناه في رسالة (الاخلاص) ٠

الاشـارة التاسعة :

ان نتيجة الايمان بالله ومحبته سبحانه هي :

رؤية جمال مقدس وكمال منزه للذات الجليلة سبحانه وتعالى ـ كما هي ثابتة بالحديث الصحيح(١) والقرآن الكريم ـ هـذه

---

(١) عن ابي هريرة رضى الله عنه أن ناسا قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسـول الله ، قال : هـل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال : فانكم ترونه كذا ٠ والحديث بطولـه رواه البخـاري ومسلم ٠

الرؤية التي تساوي ساعة منها الف الف سنة من نعيم الجنة(٢) ، ذلك النعيم الذي ساعة منه تفوق الف الف سنة من حياة الدنيـــا الهنيئة ، كما هو ثابت لدى اهل العلم والكشف بالاتفاق ٠

ويمكنك قياس مدى الشوق واللهفة التي تنطوي عليهما فطرة الانسان لرؤية ذلك الجمال المقدس والكمال المنزه ، ومدى ما فيهـــا من رغبة جياشة وتوق شديد والتياع لشهودهما ، بالمثال الآتي :

كل انسان يشعر في وجـــدانه بلهفة شـــديدة لرؤية سيدنا سليمان عليه السلام الذي اوتي الكمال ويشعر ايضـــا بشـــوق عظيم نحو رؤية سيدنا يوسف عليـــه السلام الـــذي اوتي شطر الجمال ٠ فيا ترى كم يكون مدى الشوق واللهفة لدى الانسان لرؤية جمال مقدس وكمال منزه ، الذي هو من تجليات ذلك الجمـــال

---

(٢) فقد ورد في الحديث الشريف : « ٠٠٠٠ قال : فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب ، ويتجلى لهم فيغشاهم مـــن نوره شيء لولا أنه قضى عليهم ان لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره ٠ قال : ثم يقال لهم ارجعوا الى منازلكم ٠ قـــال فيرجعون الى منازلهم وقد خفوا على ازواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره تبارك وتعالى ، فاذا صاروا الى منازلهم تراد النور وأمكن حتى يرجعوا الى صورهم التي كانوا عليها ٠ قال فتقول لهم أزواجهم : لقـــد خرجتم مـــن عندنا على صورة ، ورجعتم على غيرها ؟ قال : فيقولون : ذلك بأن الله تبـــارك وتعـــالى تجلى لنا فنظرنا منه مـــا خفينـــا به عليـــكم ٠٠٠ » (رواه البزار انظر الترغيب والترهيب للحافظ المنـــذري ٤/٥٥٦) ــ المؤلف ــ ٠

والكمال : الجنة الخـــالدة بجميع محاسنها ونعيمها وكمالاتها التي تفوق بما لا يحد من المرات جميع محاسن الدنيا وكمالاتها ..

اللهم ارزقنا في الدنيا حبك وحب ما يقربنا اليك ، والاستقامة كما امرت ، وفي الآخرة رحمتك ورؤيتك .

« سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم »

اللهم صل وسلم على من أرسلته رحمة للعالمين وعـلى آلـه وصحبه أجمعين . آمين .

المكتوب السابع عشر

عزاء بطفل

« رسالة بعث بها الاستاذ بديع الزمان سعيد النورسي عندما كان في « بارلا » الى أحد طلاب النور بمناسبة وفاة طفله الحبيب .. » .

باسمه سبحانه

« وان من شيء الا يسبح بحمده »

السيد الحافظ «خالد» .. يا أخا الآخرة العزيز !

« بسم الله الرحمن الرحيم . وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » .

اخي !

لقد آلمني كثيرا نبأ وفاة طفلكم ، ولكن : الحكم لله فالرضا بقضائه والتسليم بقدره شعار الاسلام .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقكم الصبر الجميل ، وأن يجعل لكم المرحوم ظهيراً للآخرة ، وشفيعا يوم القيامة .

وسنبين لـكم ولأمثالكم من المؤمنين المتقين «خمس نقاط» ، تشع بشرى سارة وتقطر سلوانا حقيقيا لـكم ٠

النقطة الاولى :

ان معنى الآية الكريمة « ولدان مخلدون » وسرها هو هكذا :

ان أولاد المؤمنين المتوفين « قبل البلوغ » سيخلدون في الجنة أطفالا محبوبين بما يليق بالجنة ٠٠ وسيكونون مبعث سرور أبـدي في احضان آبائهم وأمهاتهم الذين مضوا الى الجنة ٠٠ وسيكـونون مداراً لتحقيق ألطف الأذواق الابدية للوالدين وهو حب الأطفـــال وملاطفة الأولاد ٠٠

وحيث أن كل شيء لذيذ موجود في الجنة ، فلا صحة لقـول من يقول : « لا وجود لمحبة الاطفال ومداعبتهم في الجنة لخلوها مـن التكاثر والتناسل » ٠ بل هناك الفـوز العظيـم بمحبـة الاطفـال وملاعبتهم بصفاء ولذة تامتين طوال ملايين السنين ، مـن دون أن يشوبها الم ولا كدر ، بدلا من محبتهم واللعب معهم في عشر سنوات دنيوية قصيرة فانية مشوبة بالآلام ٠

كل هذا تحققه الآية الكريمة بجملة (**ولدان مخلدون**) فتصبح مدارا اكبر لسعادة المؤمنين وتزف أعظم بشرى لهم ٠

النقطـة الثـانية :

كان هناك ـ ذات يوم ـ رجل كريم في السجن ٠٠ الحق بـه

ولده الحبيب أيضاً . فكان يتألم كثيرا بمشقات عجزه عن تأمين راحة ابنه فضلا عن مقاساته آلامه الشخصية .

بعث اليه الحاكم الرحيم احداً ليبلغه : « أن هذا الطفل وان كان ابنك الا أنه واحد من رعيتي وأحد أفراد الامة ، ساخذه منك لأربيه في قصر جميل فخم » ... بدأ الرجل بالبكاء والحسرة والتأوه ، وقال : « لا . لا اعطي ولدي ولا اسلمه ، انه مدار سلواني ! » .

انبرى له أصدقاؤه في السجن : يا هذا لا داعي لأحزانك ولا معنى لتألمك . ان كنت تتألم لأجل الطفل فهو سيمضي الى قصر باذخ رحيب بدلا من أن يبقى في هذا السجن الملوث المتعفن الضيق.. وان كنت متألماً لذات نفسك وتبحث عن نفعك الخاص ، فان الطفل سيعاني مشقات كثيرة مع ضيق وألم شديدين فيما اذا بقي هنا لأجل أن تحصل على نفع مؤقت ومشكوك فيه ! اما اذا ذهب الى هناك فسيكون وسيلة لألف نفع وفائدة لك ، ذلك لأنه سيكون سبباً لدر رحمة الحاكم لك ، وسيصبح لك في حكم الشفيع ، ولابد أن الحاكم سيرغب يوماً في أن تسعد باللقاء مع ابنك ، ولا جرم انه لن يرسله اليك في السجن ، بل سيأخذك اليه ويخرجك من السجن ويبعثك الى ذلك القصر لتحظى باللقاء مع الطفل ، فيما اذا كنت ذا طاعة له وثقة به .

وفي ضوء هذا المثال ـ يا أخي العزيز ـ ينبغي أن يتفكر

أمثالك من المؤمنين عندما يتوفى أطفالهم ، ويقولوا :

ان هذا الطفل بريء ، وان خالقه رحيم وكريم ، فبدلا من رقتي القاصرة عليه ، وبدلا من تربيتي الناقصة له فقد احتضنته الرحمة الآلهية وضمته العناية الآلهية الى كنفها العظيم ، وأخرجته من سجن المشقات والمصائب والآلام الدنيوية وأرسلته الى ظلال جنة الفردوس العظيم ۰

فهنيئاً لذلك الطفل !

ومن يدري ماذا كان يعمل وكيف كان يتصرف لو أنه ظل في هذه الدنيا ؟ لذا فأنا لست متألما عليه ، بل أراه سعيدا محظوظا ۰۰ بقي لي أن أفكر فيما يخص متعتي الخاصة ۰ نعم ، لو كان باقياً في الدنيا لكان يضمن لي محبة الاولاد وملاعبتهم المؤقتة زهاء عشرة أعوام وهي مشوبة بالآلام ، ولربما لو كان صالحاً باراً ، وكان ذا قدرة في أمور الدنيا كان يمكنه أن يعينني ويتعاون معي ، الا أنه بوفاته فقد ضمن لي محبة الاولاد ولعشرة ملايين من السنين وفي الجنة الخالدة ، وأصبح مشفعاً لي للدخول الى السعادة الابدية ، فلا أكون اذن شديد التالم عليه حتى على حساب نفسي كذلك ۰ لان من غابت عنه منفعة عاجلة مشكوك فيها ، وربح ألف منفعة آجلة محققة الحصول ، لن يظهر الاحزان الأليمة ، ولن ينوح يائساً أبداً !

النقطة الثالثة :

ان الطفل المتوفى ۰۰ ما كان الا مخلوقاً لخالق رحيم ، وعبدا

له ، وبكل كيانه مصنوعا من مصنوعاته سبحانه ، وصديقا مودعـا لدنه عند الوالدين ليبقى تحت رعايتهما ، وقد جعل سبحانه أمـه وأباه خادمين أمينين له ، ومنح كلا منهما شفقة ملذة ، أجرة عاجلة أزاء ما يقومان به من خدمة .

والآن . ان ذلك الخالق الرحيم الذي هو المالك الحقيقي للطفل ـ من الألف تسعمائة وتسعة وتسعين حصة ـ اذا ما أخذ بمقتضى رحمته وحكمته ذلك الطفل منك منهياً خدماته ، فلا يليـق بأهـل الايمان أن يحزنوا يائسين ويبكوا صارخين بما يومىء الى الشكوى أمام مولاه الحق صاحب الحصص الالف ... مقابل حصة صورية. وانما هذا شأن أهل الغفلة والضلالة .

النقطـة الرابعـة :

لو كانت الدنيا أبدية أبد الآباد ، ولو كان الانسان فيها خالداً مخلدا ، أو لو كان الفراق أبدياً ... اذن لكان للحزن الأليم والأسف اليائس معنى ما .

ولكن : مادامت الدنيا دار ضيافة ، فاينما ذهب الطفل المتوفى فكلنا ـ نحن وأنتم كذلك ـ الى هناك راحلون لا مناص .

ثم ان هذه الوفاة ليست خاصة به هو وحده ، بل هي طريـق يسلكه الجميع ، وما من أحد في الأرض الا وسيسلكه يوماً ما .

ولما لم يكن الفراق أبدياً كذلك ، بل سيتم اللقاء في الأيام المقبلة

وفي البرزخ وفي الجنة ٠ لذلك ينبغي القول :

الحكم لله ٠٠٠ ان لله ما اخذ وما أعطى ، مع الاحتساب والصبر الجميل والشكر قائلين : الحمد لله على كل حال ٠

النقطـة الخامســة :

ان الشفقة التي هي ألطف وأجمل وأطيبوأحلى تجليات الرحمة الآلهية ٠٠ لهي أكسير نوراني ، وهي أنفذ من العشق بكثير ، وهي أسرع وسيلة للوصول الى الحق تبارك وتعالى ٠

نعم مثلما أن العشق المجازي والعشق الدنيوي ـ بمشكلات كثيرة جداً ـ ينقلبان الى « العشق الحقيقي » فيجد صاحبه الله جل جلاله ، كذلك الشفقة ـ ولكن بلا مشكلات ـ تربط القلب بالله سبحانه ليوصل صاحبه الى الله سبحانه بأقصر طريق وأصفى شكل٠

والوالد أو الوالدة على السواء يحبان ولدهما بمـلء الدنيـا كلها ، فعندما يؤخذ الولد من أي منهما فانه ـ ان كان سعيدا وكان من أهل الايمان ـ يعرض وجهه عن الدنيا ويدير لها ظهره ، فيجد المنعم الحقيقي حاضرا فيقول : ما دامت الدنيا فانية زائلة فلا تستحق اذن ربط القلب بها ، فيجد ازاء ما مضى اليه ولده علاقة وثيقـة ٠ ويغنم حالة معنوية ســامية ٠

ان أهل الغفلة والضلالة لمحرومون من سعادة هذه الحقائق الخمس وبشرياتها ٠ فقيسوا على ما ياتي مدى ما هم فيه من أحوال

أليمة : عندما يرى أحدهم طفله الوحيد الذي يحبه حباً خالصاً ، يتقلب في السكرات ، يذهب فكره حالا الى رقوده في تراب القبر بدل فراشه الناعم الوثير ، لما يتصور الموت عدما ، وفراقا أبديا لتوهمه الخلود في الدنيا ، ونتيجة الغفلة والضلالة ، لذا لايخطر على باله رحمة الرحمن الرحيم ولا جنته ولا نعمة فردوسه المقيم ٠٠ فانت تستطيع أن تقيس من هذا مدى ما يعانيه أهل الضلالة والغفلة من الم وحزن يائس بلا بصيص من أمل ٠

بينما الايمان والاسلام ـ وهما وسيلتا سعادة الدارين ـ يقولان للمؤمن :

ان هذا الطفل الذي يعاني ما يعاني من سكرات الموت سيرسله خالقه الرحيم الى قدس جنته بعدما يخرجه من هذه الدنيا القذرة ، زد على ذلك أنه سيجعله لك مشفعاً ، كما سيجعله لك أيضا ولدا أبدياً ٠٠٠ فلا تقلق اذن ولا تغتم ٠ فالفراق مؤقت ، واصبر قائلا :

« الحكم لله » ٠

(انا لله وانا اليه راجعون) ٠

البـاقي هو الباقي ٠

سـعيد النورسي

حول «ولدان مخلدون»

باسمه سبحانه

ان ما ذكر في رسالة « عزاء بطفل » من توضيح للآية الكريمة **(يطوف عليهم ولدان مخلدون) فقد ذكر في قسم من التفاسير** القديمة : أنه أبتداء من اصغر الاطفال الى أكبر الشيوخ يصبحون في الجنة في الثالث والثلاثين من العمر .

ان حقيقة هذا ، هو الآتي ، والله أعلم :

ان الآية الكريمة صريحة في تعبير « ولدان » الذي يفيد : ان الاطفال الصغار الذين لم يكرهوا على اداء الفرائض الشرعية ، ولا يقومون بها تطوعاً على سبيل السنة والتطوع ، وماتوا قبل البلوغ ، هؤلاء الاطفال يخلدون على طفولتهم المحبوبة في الجنة ، بما يليق بالجنة .

أما اولئك الذين بلغوا سبع سنوات من العمر ، وقد حثهم الوالدان على اداء الفرائض ـ لترويضهم عليها ـ واكرهوهم عليها عند بلوغهم العاشرة من العمر ، كما هو وارد شرعاً ، فهؤلاء الذين أدوا الفرائض نافلة ، لا واجباً عليهم ـ من السابعة الى حد البلوغ ـ وصاموا كالكبار ، مثابون مثل الكبار المتدينين ، ويكونون في الثالث والثلاثين من العمر في الجنة .

فلقد عمم قسم من التفاسير هذا الأمر على الاطفال جميعاً دون ايضاح هذه النقطة ، فظنوا حكم الآية عاماً مع انه خاص .

المذكرة الثانية عشرة

تضرع

يا أحبائي المستمعين لهذه المذكرات ، اعلموا :

اني قد اكتب تضرع قلبي الى ربي ـ مع ان من شأنه ان يستر ولا يسطر ـ رجاء من رحمته تعالى ان يقبل نطق كتابي ، بدلا عني اذا أسكت الموت لساني ... نعم ، لا تسع توبة لساني في عمري القصير كفارة لذنوبي الكثيرة . فنطق الكتاب الثابت الدائم أوفى لها . فقبل ثلاث عشرة سنة واثناء اضطراب روحي عارم وفي غمرة تحول ضحكات « سعيد القديم » الى بكاء « سعيد الجديد » أفقت من ليل الشباب على صبح المشيب فسطرت هذه المناجاة باللغة العربية، أوردها كما هي :

يا ربي الرحيم ويا الهي الكريم !

قد ضاع بسوء اختياري عمري وشبابي ، وما بقي من ثمراتها في يدي الا آثام مؤلمة مذلة ، وآلام مضرة مضلة ، ووساوس

مزعجة معجزة • وأنا بهذا الحمل الثقيل ، والقلب العليل ، والوجه الخجيل متقرب ـ بالمشاهدة ـ بكمال السرعة ، بلا انحراف وبلا اختيار كآبائي واحبابي وأقاربي وأقراني الى باب القبر ، بيت الوحدة والانفراد في طريق أبد الآباد ، للفراق الابدي من هذه الدار الفانية الهالكة باليقين ، والآفلة الراحلة بالمشاهدة ، ولاسيما الغدارة المكارة لمثلي ذي النفس الأمارة •

فيا ربي الرحيم ويا ربي الكريم !

أراني عن قريب لبست كفني وركبت تابوتي ، وودعت أحبابي ، وتوجهت الى باب قبري ، فأنادي في باب رحمتك :

الأمان الأمان يا حنان يا منان • نجني من خجالة العصيان •

آه •• كفني على عنقي ، وأنا قائم عند رأس قبري ، أرفع رأسي الى باب رحمتك أنادي :

الأمان الأمان يا رحمن يا حنان ، خلصني من ثقل حمل العصيان •

آه •• أنا ملتف بكفني ، وساكن في قبري ، وتركني المشيعون •• وانا منتظر لعفوك ورحمتك • ومشاهد بأن لا ملجأ ولا منجأ الا اليك ، وأنادي :

الأمان الأمان من ضيق المكان ، ومن وحشة العصيان ، ومن قبح وجه الآثام •

يا رحمن يا حنان ·· يا منان ·· ويا ديان نجني من رفاقة الذنوب والعصيان ··

الهي ! رحمتك ملجئي ووسيلتي ، واليك ارفع بثي وحزني وشكايتي ··

يا خالقي الكريم ، ويا ربي الرحيم ، ويا سيدي ، ويا مولاي··

مخلوقك ، مصنوعك وعبدك العاصي العاجز ، الغافل ، الجاهل ، العليل ، الذليل ، المسيء ، المسن ، الشقي ، الآبق ، قد عاد بعد أربعين سنة الى بابك ملتجأ الى رحمتك ، معترفاً بالذنوب والخطيئات مبتلى بالأوهام والاسقام ، متضرعاً اليك ·· فان تقبل وتغفر وترحم فانت لذلك أهل وانت أرحم الراحمين ، والا فأي باب يقصد غير بابك ·· وانت الرب المقصود والحق المعبود · ولا اله الا انت وحدك لا شريك لك ··

آخر الكلام : أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمداً رسول الله ·

حاجة الفطرة

اخوتي الأعزاء الصديقين !

ان الأطفال الابرياء هم في مقدمة الذين سيكونون طلاباً حقيقيين لرسائل النور ، حسب ما تقتضيه فطرتهم ، والأوضاع الراهنة . لأن الطفل الذي لم يتلق في صغره درساً ايمانيا قويا يصعب عليه ويستشكل بعد ذلك أن يقر في روحه أركان الايمان والاسلام ، بل يكون عسيرا عليه ، شأنه شأن تقبل غير المسلم الاسلام ، بل يستغرب منه اكثر ، ولاسيما ان لم ير والديه على دين وتقوى ، وربى ذهنه بالعلوم الدنيوية وحدها .

ففي هذه الحالة ، يستثقل ذلك الطفل والديه بدل أن يبر بهما ، ويكون بلاء عليهما ، ويترقب موتهما ! أما في الآخرة فلا يكون شفيعاً لهما ، بل مدعياً عليهما قائلا : « لم لم تنقذوا ايماني بتربيتي على الاسلام ؟ » .

فبناء على هذه الحقيقة : فان أسعد الأطفال هم أولاء الذين

دخلوا ضمن دائرة رسائل النور ، فيكونون أبناء بررة للوالدين ، وخداماً أمناء لهم يقومون بين يديهم بالاحترام والتوقير اللائقين بهما • ويسجلون باعمالهم الصالحة حسنات في سجل حسنات والديهم بعد وفاتهما •• وفي الآخرة يكونون لهما شفعاء ، كل حسب درجته •

ان القسم الثاني من طلاب النور هم النساء اللائي يشعرن بحاجتهن الى رسائل النور في فطرتهن • ولاسيما من كان لهن شيء من التجافي عن الدنيا وربما العزوف كلياً عنها ، حيث قد بلغن من العمر مبلغاً •

فرسائل النور تكون لهؤلاء غذاء معنوياً ، لأن احدى أسس رسائل النور ، « الشفقة » التي هي من مظاهر اسم « الرحيم » وهي الخميرة والجوهر الخاص المغروز في فطرة النساء وميزتهن الأصلية •

سعيد النورسي

« من ملحق أميرداغ »

فهرس

من كليات رسائل النــور صدرت

● **الرسائل المترجمة الى العربية :**

١ ـ الحشر ـ ط ٢
٢ ـ قطوف من أزاهير النــور
٣ ـ الآيــة الكبرى
٤ ـ زهرة النــور
٥ ـ الملائكة وبقاء الروح والحياة الآخرة
٦ ـ الشيوخ
٧ ـ الشكر
٨ ـ حقائق الايمان
٩ ـ الايمان وتكامل الانسان
١٠ـ الاخلاص والاخــوة
١١ـ حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي ٠
١٢ـ الثمــرة
١٣ـ كلمات صغيرة في العبادة والعقيدة
١٤ـ المعجزات الأحمدية على صاحبها الصلاة والسلام ٠
١٥ـ الاسم الأعظم ـ قبسات من الاسماء الحسنى
١٦ـ سلوة المرضى وعزاء المبتلين ـ ط ٢
١٧ـ المناجــاة ـ ط ٢
١٨ـ الاجتهاد في العصر الحــاضر
١٩ـ المعراج النبوي
٢٠ـ مرقاة السنة وترياق مرض البدعة ٠
٢١ـ أصول في فهم الاحاديث النبوية دفعاً للاوهام عنها
٢٢ـ أنوار الحقيقة ـ مباحث في التصوف والسلوك

● قراءات في فكر النورسي ـ تعليق الاستاذ أديب الدباغ

٢٣ـ الطبيعــة

٢٤ـ السنة النبوية : سنة كونية وحقيقة روحية

٢٥ـ النوافذ : ٣٣ نافذة تطل على التوحيد

٢٦ـ حركة التاريخ بين النسبي والمطلق

٢٧ـ مختارات من المثنوى النورى

٢٨ـ البعد الحسي في الاسراء والمعراج

● دراسات عن حياة الاستاذ النورسي :

٢٩ـ ذكريات عن سعيد النورسي : أسيد احسان قاسم

٣٠ـ النورسي الرائد الاسلامي الكبير : د٠ محسن عبد الحميد ٠

● الآثــار العربية الكاملة (تحقيق : احسان قاسم)

٣١ـ المثنوي العربي النوري

٣٢ـ اشارات الاعجاز في مظان الايجاز

● ـرســائل تحت الطبع :

٣٣ـ مرشد الشباب للنجاة في يوم الحساب

٤٣ـ « أنــا » ذات الانسان وحركة الذرات بين الفلسفة والدين

٣٥ـ مفتاح لعــالم النــور

٣٦ـ المعجزات القرانية ٠

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
١١١ لسنة ١٩٩٠

فمـــا أسعد ذلك الزوج الـــذي يلاحظ تدين زوجته ويقوم بتقليدها ، ويصبح ذا دين ، فلا يفقد صاحبته الوفيـــة في حيـــاة أبدية خـــالدة .

وكم هي محظوظة تلك المرأة التي تلاحظ تدين زوجها وتخشى أن تفرط برفيق حياتها الامين في حياة خالدة ، فتتمسك بالايمـان والتقـــوى .

والويل ثم الويل لذلك الرجل الذي ينغمس في سفاهة تفقده زوجته الطيبة الصالحة .

ويا لتعاسة تلك المرأة التي لا تقلد زوجهـــا التقي الورع ، فتخسر رفيقها الكريم الابدي السعيد .

والويل والثبـــور لذينك الزوجين الشقيين اللذين يقلدان بعضهما البعض الآخر في الفسوق والفحشاء ، فيتسابقان في دفـــع أحـــدهما الآخر في النار .

سعيد النورسى

السعر دينارا؟

مطبعة الحوادث ـ بغداد ـ هاتف (٤١٥٢٦٨٥)